تاريخ بلدة

خنيفرة

لأحمد بلقاسم الزياني

تحقيق

محمد أمحزون

أستاذ التاريخ بكلية الآداب — وجدة

توزيع

دار الثقافة
للنشر والتوزيع
الدار البيضاء

تاريخ بلدة
خنيفرة

لأحمد بلقاسم الزياني

تحقيق
محمد أمحزون
أستاذ التاريخ بكلية الآداب — وجدة

توزيع
دار الثقافة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1407 هـ / 1986 م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

يدخل تاريخ بلدة خنيفرة في إطار التواريخ المحلّية ، وهي تعبير عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم ومحلّ نشاطهم . وتعتبر هذه التواريخ من أهم فروع التاريخ لأنها تبدو أكثر تخصصا وأكثر عمقا من التواريخ العامة في معالجة أدقّ المسائل وإبراز جوانب كثيرة تغفل عنها عادةً التواريخ العامة ، ولما تُقدِّمه من وصف شامل ومعلومات غنية عن قطر أو بلد معيّن .

وعلى ذلك جاء ذكر المؤلف لتاريخ خنيفرة مفيدا وممتعا لاسيما أنه من مواليدها وشاهد عيان؛ فقد قضي فيها فترة طويلة مكنته من معرفة الشيء الكثير عنها ، فشغلت ملاحظاته الشخصية حيّزا كبيرا عن أحوال البلد بمختلف أنواعها ، إذ أنه لم يقتصر على الناحية السياسية فحسب ، بل تعرض لوصف النواحي الطبوغرافية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية ، فذكر المؤلف جغرافية هذه البلدة ونهرها ، والقناطر والآثار العمرانية ، والجبال والغابات ،

وتربة الأرض والمعادن ، وينابيع المياه ، ولغتها ومساكنها ، وصفة أهلها وأصلهم وأخلاقهم ، ومواردهم الإقتصادية ، وأهم الحرف التي يزاولها الأهالي ، واعتقادهم وظروفهم الصحية ، وسلطاتها الإدارية وما يتبع ذلك من علاقات وصلات مع السلطة المركزية . وفي هذا الجانب كانت خنيفرة إلى ما بعد عام 1290هـ (1873م) مجرّد قرية صغيرة ، ثم بدأت تلقي أهمية متزايدة بعد عمارتها في عام 1894م على يد الجيش الذي بعثه السلطان الحسن الأول إلى القائد الشهير محمد الزَّياني لإخضاع القبائل المتمرّدة بالجبل . وفي حين أداء هذا الجيش مهمته بإعانة القائد محمد الزياني على إخضاع القبائل الثائرة وتمهيد النظام ، استقرت عناصره في أرض خنيفرة واستوطنتها وتزوجت وتناسلت ، وصارت خنيفرة من أهم حواضر البربر يقصدها التجار والرواد خصوصا من المناطق الصحراوية . لكن منذ بداية الاحتلال الفرنسي وتصميم أهلها بقيادة محمد أوحمُّوا على المقاومة وجهاد الاستعمار الآثم هجرها أهلها وتركت خرابا بعد المعارك العنيفة التي دارت رحاها بين الجانبين . ولم تستردّ حياتها وعمارتها إلا بعد القضاء على مقاومة الزياني ، لكن تعميرها من جديد في عهد الاحتلال لم يكن بهدف تطويرها ، وإنما من أجل مراقبة المناطق الجبلية التي يُخشَى من تمرُّد أهلها بين الحين والآخر ، والتي كانت تعتبر مصادر قلاقل بالنسبة للسلطات الاستعمارية .

المخطوطة المحققة :

توجد هذه المخطوطة ــ وهي بخط المؤلف ــ في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 12037 ، ومقياس الصفحة اثنان وعشرون سنتمترا طولا ، وستة عشر سنتمتراً عرضا ، عدد صفحاتها ثلاث وعشرون صفحة ، وفي كل صفحة اثنان وعشرون سطر ، وفي كل سطر إحدَى عشر كلمة . وهي مكتوبة بخط مغربي حسن وبحبر أسود ، أما ورقها فيميل لونه إلى اللون الأصفر ، وسلم من اعتداء الأرضة عليه. وقد فرغ المؤلف من كتابتها في ربيع الأول عام 1356هـ الموافق مايو 1937م ، وحينذاك كان يشغل منصب نائب قاضي واد زم إبّان الاحتلال الفرنسي للمغرب .

وننبّه أن المؤلف ليس هو أحمد بلقاسم الزَّياني المؤرخ المشهور الذي عاش في فترة ما بين 1147ــ 1249هـ / 1734ــ 1834م . فمؤلف هذا الكتاب ولد في أوائل هذه القرن قبيل الاحتلال الفرنسي للمغرب ، وكان مولده ونشأته بخنيفرة حيث كان والده على رأس الجنود الذين أرسلهم السلطان الحسن الأول إلى خنيفرة لإعانة القائد محمد أوحمو الزَّياني على استتباب الأمن بالمنطقة .

منهج البحـث :

1 ــ تحقيق النص ، والقيام بالتصحيح في المتن مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية .

2 ـ التعريف بالأعلام والأماكن وشرح الكلمات الواردة في النص .

3 ـ قد يصعب ضبط بعض أسماء الأعلام أو الأماكن أو المفردات ضبطا صحيحا ، فذكرت كيفية النطق بها عند ذكرها أوَّل مرَّة .

4 ـ عند ذكر معاجم اللغة في هوامش الكتاب لم أشر إلى أرقام الصفحات لأن هذه المعاجم مرتبة حسب حروف الهجاء .

5 ـ بالنسبة للتواريخ التي وردت في ثنايا النص حرصت على إيرادها بما يقابلها بالتاريخ الميلادي في السنين والأشهر .

تاريخ خنيفرة

ولابأس أن تسمحوا لي بتقديم كلمة قصيرة عن تاريخ خنيفرة ، ومنها يتسلسل الحديث بنا لما سواها لأنها كمنتوجات الطبيعة التي لازالت في بطون التاريخ العربية وديعة . نعم قد طرقها كُتَّابٌ فرنسيون ، وغالبهم قد أشار لها باختصار إلاّ القبطان فْرَنْسْوَا بِرْجِي في كتابه : «محمد أُوحمو»[1] فإنه قد استقصَى الآثار .

هذه القرية أو العاصمة الزَّيَانية كانت إلى ما بعد 1290هـ[2] شيئا لا يُذكر، عبارة عن مدشر[3] لقبيلة من زَيَانْ[4] تُدْعَى آيَتْ

(1) محمد بن حمو الزياني ، قائد قبيلة زيان في عهد السلطان الحسن الأول . ترجع شهرته إلى المعارك التي خاضها ضد الإستعمار الفرنسي في العقد الثاني من هذا القرن ، وكان قد رفض رفضاً قاطعا الاحتلال الأجنبي ، فضلَّ يقاوم حتَّى مات في أرض المعركة . أما علاقته بالسلطة المركزية فيتحدّث عنها المؤلف تحت عناوين : «السياسة» ، «السلطة والحكم» .

(2) يوافق في التاريخ الميلادي عام 1873م .

(3) تجمع سكاني أو قرية صغيرة .

(4) من برابر آيت أومالو ــ آل أو أهل الظل ــ وهم فريق من بربر فازازا ، وهم بطن من بطون صنهاجة ، وترجع هذه القبيلة في أصولها إلى العرب الحِمْيَرِيِّين على حد قول النسابين والإخباريين العرب . وتتكون زيان من آيت عمّار وإِبُوحْسُسْنْ وآيت بوحدّو وآيت لْيَاسْ ، مركزها خنيفرة . في أصل صنهاجة =

بُوحْدُّو[5] . وبدأت عمارتها في نحو سنة 1294هـ أو سنة 1877م ؛ بدأت عمارتها بالجيوش التي وَجَّهَ السلطان المولى الحسن[6] لإعانة القائد الشهير محمد أُوحمو الزَّياني لإرضاخ سكان الجبل المتمردين من آيت سْخْمَانْ[7] وَإِشْقِّرْنْ[8] ذوي الوقائع العظيمة مع السلطان المولى سليمان[9] ، وقتل المولى سُرور ابن عم المولى الحسن وغير ذلك .

= انظر ابن خلدون : «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن صاحبهم من ذوي السلطان الأكبر» ، جـ 6 ، ص ص 309 ـ 310 ، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1379هـ / 1959م . والناصري : «الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى» ، جـ 8 ، ص 134 ، الدار البيضاء ، مطبعة دار الكتاب ، 1376هـ / 1956م .

(5) بطن من بطون قبيلة زيان .

(6) الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام الحسني الينبوعي السِّجلْماسي ، من سلاطين الدولة العلوية بالمغرب الأقصى ، وَلِيَ الحكم بعد وفاة أبيه عام 1290هـ (1873م) ، عُنِي بتحصين الثغور وبإخضاع القبائل تارة باللين وتارة بالشدّة ، توفي عام 2311هـ (1894م) ، ترجم له : ابن زيدان في «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» ، جـ 2 ، ص 115 ، طبعة الرباط ، 1347هـ / 1928م ، والناصري : المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 235 .

(7) قبيلة بربرية مركزها أغبالة ، وهي بلدة على الطريق الرابط بين القصيبة وإميلشيل .

(8) قبيلة بربرية مركزها القباب ، وهي بلدة تقع قريبا من الطريق الذي يربط خنيفرة بميدلت على بعد 35 كيلا من خنيفرة .

(9) سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل ، من سلاطين الدولة العلوية بالمغرب الأقصى بويع بفاس عام 1206هـ (1791م) بعد وفاة أخيه اليزيد . كان =

وبالاحصاء الرسمي من كناشة لرئيس تلك الجنود أن عددهم 4215 ؛ كل هؤلاء الجنود جاءت مزمعة المقام إلى النهاية ، واستعدّت للإماتة حاملة الرّاية ، فاستوطنت خنيفرة بعد أن ملكتها

= سلفيا محبّاً للسنّة ، قامعا للبدعة ، محبّاً للعلم والعلماء ، له حواش وتعاليق على بعض الكتب ، وقد عُني بإخضاع القبائل وقمع أهل البدع والخرافات وإحياء السنّة ، كما عرف بالسعي إلى العودة بالناس إلى منهج السلف في صفاء العقيدة وسلامتها واستقامة السلوك لإيجاد مغرب قوي موحّد يتحدّى الأطماع والمؤامرات الخارجية التي تسعَى إلى زعزعة استقراره وفقدان سيادته والإطاحة به في شراك التبعية الفكرية والسياسة والاقتصادية .

ومما يلاحظ أن أرباب الفكر الصوفي المعادي للسلفية ــ وهي العودة إلى الكتاب والسنة ــ والذين كانوا يُؤَثِّرون إلى حدّ بعيد على عقليات البربر حرّضوا هؤلاء على الانتفاضة ضد السلطان عندما رأوا مصالحهم مهددة بالزوال ، هذا بالإضافة إلى أن جهود سليمان كانت فردية مما كان له الأثر في صعوبة تنفيذ مخططه الإصلاحي . وقد توفي عام 1238هـ (1822م) ، ترجم له : ابن زيدان في : «الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة» ، ص 67 ، طبعة الرباط ، 1356هـ / 1937م . محمد مخلوف : «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» ، ص 380 ، طبعة مصر ، 1349هـ / 1930م ، وعبد الحي الكتاني : «فهرس الفهارس» ، جـ 2 ، ص 328 ، طبعة فاس ، 1346هـ / 1927م ، والناصري : المرجع السابق .

ومن التنبيه بمكان أن الكُتّاب الغربيين ومن سار على دربهم من الملحدين اليوم المتسمين بأسماء إسلامية ، المقلّدين للإفرنج ، المنحلّين عن كل خلق وفضيلة زاعمين بجهلهم وتقليدهم الأعمَى أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية ، حاولوا جميعا تشويه هذا الرجل والإنتقاص من مكانته نظرا للإفتراءات والادعاءات الباطلة التي نشروها حول سياسة المغرب في تلك الفترة (1206 ــ 1238هـ / 1791 ــ 1822م) بوصف السلطان سليمان أنه مارس سياسة العزلة وأغلق منافذ الاتصال مع البلدان الأوروبية ، وبذلك أصبح المغرب متخلّفا ولم يعد يواكب التقدم العلمي والعصر المتطور . =

= وجذير بالإشارة أن هذه الحملة على السلطان سليمان وربط ما يتهمه الخصوم به من عزلة وتقوقع باعتناقه المذهب الوهّابي إنما يراد منها الطعن في الإسلام ورميه بالتزمت والإنغلاق سيما وأن الوهابية ليست إلاّ دعوة إلى الإلتزام بالكتاب والسنّة وإحياء سيرة السلف الصالح .

إن أعداء الإسلام يحاولون على الدوام وبكلٍ ما يملكون من وسائل تهميش هذا الدين وطمس معالمه لأنه يقف جداراً منيعاً في وجه أي غزو فكري وسياسي واقتصادي .

لست أدري كيف تجاهل هؤلاء الموتورون الحاقدون أن الإسلام دين العلم والحضارة والتقدم ولولا انفتاح المسلمين لما استطاعت أوربا أن تصل إلى ما وصلت إليه الآن من مدنية وتقدم علمي ؛ فعلى ضوء المنجزات الإسلامية في العصور الوسطَى وعلى هديها أخذت أوربا المنهج التجريبي وبنت لنفسها الشخصية العلمية الرائدة وأقامت مدنيتها الحديثة ، إنهم يريدون بالانفتاح أن يفتح المسلمون أبوابهم أمام التيار الثقافي الغربي لتكريس التبعية لهم في مجالات الحياة المختلفة ، أما رفض ذل التبعية والإلتزام بمقتضيات الإسلام من التميّز والعزة والوقوف في وجه الأطماع ، فذلك كله في نظر الأعداء عزلة وتخلف .

إنّ السلطان سليمان كانت له علاقات مع الدول الأوربية عن طريق القناصل الممثّلين لدولهم والمقيمين في طنجة . ولكن كان حازما في سياسته حيث كانت الدول الأوربية الممثّلة بالمغرب تؤدي إتاوة سنوية أو هدايا . فالسويد كانت على سبيل المثال تؤدّي إتاوة قدرها 20.000 ريال مغربي ، والدنمارك كان مفروضا عليها إتاوة قدرها 250.000 ريال مغربي .

وقد تجلت سياسة سليمان في استغلال التنافس بين الدول الأوربية لحماية المغرب من أطماعها ، كما تجلّت في التحكم في التجارة المغربية وعدم إطلاق الحرية للأوربيين في اقتناء ما يريدون ، وفي فرض الرسوم الجمركية بكل ميناء لجباية الأعشار من التجّار الأوربيين ، وفي تجهيز أسطول بحري يمارس أعمال الجهاد ضد سفن الدول الأوربية التي لم تُعقد هدنة معها ، علاوة على تبنّي سياسة الإصلاح الداخلي عن طريق إشاعة الوعي الإسلامي الصحيح لولا عناد وتآمر المناوئين وأهل البدع .

وهكذا إزاء هذه المواقف الدالة على اليقضة والحزم من قبل السلطان =

بالقوة ، وتلاقت بها عائلاتها[10] واستوطنت ، وتزوجت وتناسلت ، وامتد الأمن بعد عناء وجهاد ، فصارت عاصمة البربر مقصد التّجّار والرّوّاد ؛ قُصدت من تافيلالت[11] والأراضي الصحراوية إلى أقصَى[12] الأراضي السوسية ، وتكوّنت من الحبّة قبّة إلى سنة 1952م[13] ، فتركت يباباً[14] وتهدّم غالبها وصارت خرابا ، ولمّا مدّت الدولة الحامية[15] فيها رواق الأمن رجعت إلى حالها ، وعمرت برجالها لحدّ الآن .

= للمحافظة على سيادة المغرب وإصلاح أوضاعه الداخلية لم يسع الصليبيين الذين أثيرت مخاوفهم إلا تزييف الحقائق التاريخية ورميه بالعُزلة والتخلّف نظرا لأنه ضيّق الخناق عليهم ولم يسمح للدول الصليبية باحتواء المغرب في عهده .

(10) في المخطوط : عائلتها ، وهو خطأ .
(11) منطقة الواحات في الجنوب الشرقي من المغرب ، وبها كانت توجد مدينة سجلماسة الشهيرة المؤسسة عام 140هـ (758م) ، انظر : عبد العزيز بنعبد الله : «الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية» ، معلمة المدن والقبائل ، ملحق 2 ، ص 128 ، الدار البيضاء ، مطبعة فضالة ، 1395هـ / 1975م .
(12) في المخطوط : أقصا : وهو خطأ .
(13) يوافق في التاريخ الهجري عام 1351 .
(14) خرابا . ابن منظور : لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، بيروت ، دار لسان العرب ، ؟ .
(15) فرنسا .

جغرافيتهـــا

هذه القرية في فسيح من الأرض منخفض محاط بالجبال والروابي ، وأرضه عكرية اللون كأنها مفروشة بالزرابي ، شرقيّها جبل يُدعَى أَقْلاَّلْ قد أقام عليها كالحارس ، وقد احتضن جبلا يُدعَى طَاغَتْ أي المعزة باللسان البربري ، وهو جبل أفطس أطلس ، ويساراً منها جبل يقال له أبو حياتي[16] ، وهو جبل امتدّ كأنه عمود الخيمة . وغربيا منها جبل يقال له أبو موسَى[17] كم أزال في الصِّغَر بؤسا وأراح من ضيق المكتب نفوسا ، حيث كان مأوَى ومنتهَى فرحنا ومرحنا ولاسيما إبّان الربيع ، والجالس به يشرف على خنيفرة وأم الربيع[18] ، وعلى يمين خنيفرة بنحو ثمان كيلومتراً جبل يُدعَى بالبربرية بُووُزَّالْ ومعناه أبو الحديد ، وهذه اللفظة لها قيمتها في التاريخ ، فإن الجبل بحقّ ذو معدن حديدي ، ومن هنا يستبان لك أن غالب الأوضاع لا تطلق جزافا عند البربر ، ونظيره في الوضع قصر المعدن المدعو بالبربرية إِغْرْمْ أَوْسَّارْ أي القصر الهرم . ويبعد عن خنيفرة يساراً بنحو 40 كيلومتراً ؛ فإن·

---

(16) يَنْطق الأهالي هذا الجبل كالآتي : بُو حِيَّاتِي .
(17) يُنطق عند الأهالي كالآتي : بَا مُوسَى .
(18) سيعرّف المؤلف بهذا النهر في الصفحات القادمة .

التاريخ يذكر أنه كان قصراً لأبي الحسن المريني[19] يضرب به السكّة من المعدن الذي بجبل عوّام ؛ لا يبعد عن القصر إلاّ بنحو 7 كيلومترات ، ونظيره في الوضع أيضا جبل المعيدن ، تصْغير معدن بشرفاء بني خفران من ناحية واد زم[20] . كل هذه ألفاظ تدلّ على المعدن ، وقد كشف الزمان أنها معدنية حقّاً ، واليد العاملة فيها الآن جارية ، وسنوفّي الكلام عنها في المعادن .

وادي أم الربيع بخنيفرة

يشقّ خنيفرة من الشمال إلى الجنوب نهر أم الربيع ، وما أحلى لفظ الربيع ، وأم الربيع أوّل ماء تذوّقت ماءه النمير[21] وأنا طفل

(19) علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، أبو الحسن ، المنصور بالله ، من كبار سلاطين بني مرين ملوك المغرب ، بويع بفاس بعد وفاة أبيه عام 731هـ (1330م) ، قال عنه الناصري : أفخم ملوك بني مرين دولة ، وأضخمهم ملكا ، وأكثرهم آثاراً بالمغربين والأندلس.ترجم له : الناصري : المرجع السابق ، جـ 2 ، ص 57 ، وابن القاضي : «جودة الاقتباس فيمن حلّ من الاعلام مدينة فاس» ، ص 991 ، طبعة فاس ، 1309هـ / 1891م .

(20) إحدَى دوائر عمالة خريبكة على الطريق الرابط بين بني ملاّل والدار البيضاء .

(21) العذب . ابن منظور : «لسان العرب» جـ 3 ، ص 721 ، بيروت : دار لسان العرب .

غرير[22] ، وعانقت تياره المنساب كالأُفْعُوان[23] ، ومرحت في جوانبه وتفسحت بين ضفافه وعلى مناكبه .

ينبع هذا النهر العزيز عن يسار خنيفرة بنحو أربعين كيلومترا ، وهو ذو منابع عديدة يقال أنها أربعون ، ولكن لا يمكن عدّها بالضبط لعظمة الماء ، وتتفجّر هذه المنابع في منخفض من الأرض يميل إلى الجنوب ، وقد اكتنفها جبلان عظيمان ، وعلى الجبلين جبل أشمخ وعلم أرسخ يدعى جبل الخرود[24] تشبيها له بدم لون الخرود ، وهو عبارة عن صخرة صمّاء حمراء .

من سفح هاذين الجبلين المتقابلين تندفع هذه المياه الهاطلة والأمواج المتقاتلة المقدّرة بأربعين ألفا ليتر في الثانية ، ويعسر على أيّ كان أن يصل للمس هوّة المياه من منابعها دهشا من صولة الماء الجذاب .

ومنابعها أنواع : منها كالشّلالات ، ومنها ما يخرج بصولة في ضوضاء ، ومنها ما يندفع دفعة واحدة بقوّة عظيمة ، ويتكون من الجميع هدير وينشب بين الماء عراك ، ثم يطأطئ الجميع رأسه ويلقي إلى الإنقياد عنانه ومِراسَه ، فيصبح وقد يُكوّن منه نهر عظيم

---

(22) صغير لم يكتمل عقله ، المصدر نفسه .

(23) ذكر الأفاعي ، المصدر نفسه .

(24) تشبيها له بالمرأة الخرود ، وهي المرأة التي يتغير لونها قريبا من الحُمرة بسبب الحياء والحشمة ، المصدر نفسه .

متين يحوي ماء أصفَى من عين الديك وأبيض من اللُّجَيْن[25] ، غير أنه ما كاد يفارق منبعه ويبارح مضجعه حتَّى انقضّ عليه لسان مالح بوجه كاسح كاد يغيّر ذوقه . ويجري هذا الوادي في مآزق ومضايق وأخاديد ومزالق ، فتسمع له هديراً وأحيانا ضوضاء وخريرا ، ثم إذا وصل منبسطا من الأرض سكن هيمانه[26] وبرد غليانه حتَّى ليطمع فيه الغرير والصبي الصغير ، ولكنه نهر جبَّار ، كم عليه للأنفس البريئة من ثأر .

على هذا المنوال يجري هذا الوادي من جبل حيَّانْ[27] فيمرّ على خنيفرة ثم يسير إلى موضع يقال له الْهِرْي[28] ، وهو قصر[29] كانت به الجنود الحسنيّة والأشراف العلويُّون ، فيصب به واد يقال له وادي شبُّوكَة ، ثم يسير قريبا فيصب به وادي سرُّو وهو واد مالح ، ثم يسير فيصل قصبة تادلا ، ثم يخرج لبسيط بني عمير[30] وبني موسَى[31] ، وهنا يصب فيه وادي العبيد[32] ، ثم

(25) الفضة ، المصدر نفسه .
(26) قوته وشدته ، ابن منظور : المصدر السابق .
(27) جبل يقع قريبا من قرية مريرت .
(28) قرية صغيرة تبعد عن خنيفرة بحوالي خمسة عشر كيلاً .
(29) عبارة عن مساكن محاطة بسور كبير من عدة جوانب .
(30) قبيلة ذات أصول عربية ، إحدَى جماعات دائرة الفقيه بن صالح (عمالة بني ملاّل) ، عبد العزيز بنعبد الله ، المرجع السابق ، ص 113 .
(31) قبيلة عربية ترجع في أصولها إلى بني هلال ، عبد الوهاب بن منصور : «قبائل المغرب» ، جـ 1 ، ص 421 ، الرباط : المطبعة الملكية ، 1388هـ / 1968م .
(32) من روافد نهر أم الربيع .

يسير إلى أن يصب به نهر وادي تاسَّوْتْ[33] من قبيلة السراغنة قرب القلعة[34] ، ثم يسير الجميع فيمرّ على سيدي علي أمْعَاشو مركز الكهرباء الكبير ، ثم يسير إلى أن يصب في البحر المحيط بثغر أزمّور ، فيصبح وقد قطع مسافة نحو خمسمائة كيلومتر تقريبا من منبعه إلى مرقده الأخير ومضجعه .

هذا الوادي العظيم الذي قلنا إن قدر مائه في أصل منبعه نحو 40.000 لتر في الثانية دون ما صبّ به من الأودية يمرّ ضائعا ولا يطعم ضعيفا ولا جائعا ، ولا يزود أربابه بدانق[35] أو فلس ؛ فهو عندهم أضيع من سراج في شمس ، أضاعوه بحيث لا يُنْتَفع به في قليل ولا كثير إلا النَّزْر القليل من بعض البساتين[36] كانت على شاطئه بخنيفرة ، وما ذلك إلا لعدم الاكتراث وقلّة الاهتمام . نعم في سنة القحط الأخيرة المدعوّة بُوهَيُّوفْ[37] الذي كان في سنة 1323هـ[38] حاول محمد أُوحمو استغلاله ليسقي به محصولاته الفلاحية وغلاله ، وأراد تحويل مجراه من وسط خنيفرة ، ولكن

---

(33) من روافد أم الربيع ، ينبع في الأطلس الكبير شرق مراكش .
(34) مدينة تقع في الطريق الرابط بين مراكش وبني ملال .
(35) سدس الدرهم .
(36) في المخطوط : البحائر .
(37) لفظ باللهجة البربرية ، ومعناه الجوع .
(38) يوافق في التاريخ الميلادي 1905م .

عظمة المياه الجبَّارة وفقدان الآلة الصالحة كانت خرط القتاد[39] للموضوع ، خصوصا الأُخْدود أو السَّاقية التي أنشأوا في حفرها وجدت كلها صماء حمراء ، وعبثا كانت تلك المحاولة أو التجربة .

ولا يُقال أن ذلك لعدم صلاحية الماء للسقي لملوحيته كما جاء في بعض التقارير أُلقيت بمجلس شورَى الحكومة بالرباط أيام المقيم السالف المسيو لوسيان سان ينتقد بها صاحبه تكاليف[40] السد العظيم عليه[41] بقصبة تادلا ، فإن ذلك من عدم التجربة إذ الماء صالح لسقي المزروعات والمحصولات ، فقد قلنا أن اليسير كان اتخذ عليه بحائر بخنيفرة فكانت غلاتها صالحة وكبيرة جداً . وجُرِّبَ حتَّى في أجنة الفواكه فكانت فاكهتها جيّدة كالتفاح والإجاص والتين وغير ذلك ، هذا في ناحية خنيفرة أي قبل مصب وادي سرو المالح ، أما في أسفل أي بعد مصبه فإن التجربة كما هي بعينها ببني عمير وبني موسَى الذين يتخذون عليه بحائر ، فتنتج غلّة كبيرة ، ولكن كل ذلك بقلة وندور . والسدّ المُتحدَّث عنه قد تمّ بقصبة تادلا وهو سدّ عظيم ، والساقية قد امتدّت لبسيط تادلا ، وعمّا قريب ستجرّب التربة الأولى لسقي تلك التربة الطيبة التي لا توازيها تربة قط في الأراضي المغربية .

---

(39) أي نهاية الموضوع .

(40) في المخطوط : صوائر .

(41) أمّ الربيع .

القناطر أو الآثار على أم الربيع

على هذا الوادي قناطر ثلاثة قديمة مخزنية ، أولها بمحلٍّ يُدعَى البُرْجْ قبل خنيفرة بنحو ثمان كيلومترات ، وهذا البرج هو عبارة عن أطلال كان متخذاً على القنطرة ، وهو في مضيق مطل على القنطرة بحيث لا يمر شيء إلاّ بمرئ ومسمع من البرج ومحتلّ البرج . وهو والقنطرة المذكورة من الآثار الإسماعلية ، ولها قيمتها وهندستها ، فقد أخذا الطريق على كل بربري يريد الانتجاع[42] في[43] الشتاء للأراضي الأزغارية[44] بحيث لا يمكنه إلا بأخذ رخصة الجواز من حراس البرج والقنطرة ، ومن منع منها فلا يستطيع التعيش بالأراضي الجبلية وحدها التي في ضيق وشدّة ، ولا ندري هل نفّذت هذه الخطة وقتئذ أم لا[45] . وبقصبة تادلا قنطرة أخرى ، وهي والقصبة من الآثار الإسماعلية أيضا ، وعلى خنيفرة قنطرة

---

(42) الارتحال ، ابن منظور : المصدر السابق .

(43) سقط من المخطوط كلمة : في .

(44) أي الأرض السهلة الواقعة على الشق الجنوبي من وادي أم الربيع ، ونظرا لأنها أقلّ برودة من الأراضي الجبلية الواقعة شمال وادي أم الربيع ، فإن كثيراً من البربر يقيمون فيها فترة الشتاء ، وفي الصيف يرتحلون إلى الأراضي الجبلية ، وهكذا على التوالي في كل عام يعمدون إلى رحلة الشتاء والصيف ، ولاتزال هذه العادة سارية المفعول إلى يومنا هذا .

(45) نظرا لأن القبائل في هذه المنطقة كانت تشق عصا الطاعة على السلطة المركزية وتعلن الثورة والخروج عليها لجأت هذه الأخيرة إلى إقامة الأبراج =

أخرى ، وهي والمسجد الأعظم بها من الآثار الحسنية . والعجب أن هذه القناطر الثلاث مرّت عليها السّنون[46] والأعوام وهي كما هي لم تتأثر بالأيدي الهادمة والتخريب الذي يعم أيام الفتن القائمة ، وكأنها قطعة من أرض لا تعرف الهدم ولا النقض ولا تخضعها المياه وأمواجها وإن سدّت أقواسها وأبراجها .

الجبال الزيانية

خنيفرة هي الحدّ الوسط بين الأراضي الجبلية عند زيان والأراضي الأزغارية أو الحدّ الفاصل لرحلتهم الشتائية والصيفية ، فمن خنيفرة قبلة الأراضي الجبلية وهي منتجعاتهم الصيفية . ومن خنيفرة غروبا الأراضي الأزغارية وهي منتجعاتهم الشتائية .

بعد الجبال الخمسة المحيطة بخنيفرة في سلسلات جبال ومغارات[47] وربوات وتلال صغار وكبار جبلٌ يُدعَى أَرُكُّو قبلة

= والقناطر وتجريد الحملات لردّ الخارجين إلى الطاعة . ومن أسباب هذه القلاقل والثورات ضعف السلطة المركزية وتفشي الجهل بين سكان المناطق الجبلية بعيدا عن الحواضر العلمية ، وكذلك طبيعة هذه المناطق التي تساعد بوعورة مسالكها على اللجوء إليها واتخاذها حصنا ضد أي ضغط من طرف السلطة المركزية .

(46) السنين .

(47) في المخطوط : مغرات ، وهو خطأ .

من خنيفرة بنحو 20 كيلومترا ، هذا الجبل كلّه عيون متدفقة تنبعث من خلاله في عذوبة وبرودة لا يكاد الظمآن بها يتمّ شربته صيفا ، وبه مدشر يسكنه شرفاء علويون ، ومخازن لمحمد أُوحمو الزَّياني وعائلته ، وبه مرفق عائلتهم ، ويتكون من هذه العيون جعفر[48] صغير تُسقَى به بعض المحصولات لسكانه المذكورين وغيرهم من أسفل . وعن يمين المستقبل منه جبل يُدعَى عْمِيرَة ، وهو أقلّ ماءً من الأول ، به رَبْوة تُدعَى الكَّارة كانت بها عمارة هائلة .

وهذه الكَّارة هي المدينة البربرية القديمة التي كانت تُدعَى قلعة فَازَازَا . وكان من الولاة بها مهدي بن تولِّي اليَحْفُوشي[49] . وبنو يَحْفُش هؤلاء بطن من زَنَاتة[50] . وهذه القلعة حاصرها يوسف بن تاشفين[51] مدّة تسع سنين ، ولم تخضع لسلطنته وما خضعت

---

(48) نهر صغير ، محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصَّحَاح ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1387هـ / 1967م .

(49) ذكره ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ 6 ، ص 379 .

(50) من أكبر قبائل البربر ، منهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، والسلاطين الموحّدين وبنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وتنضوي تحت هذه القبيلة بطون عديدة كانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس إلى وادي الساورة ، ثم طلعت منهم جماعات إلى التلّ فاستوطنت المغرب الأوسط كما استوطنوا القسم الشرقي من المغرب الأقصَى إلى جبال تازة ، ابن خلدون ، المصدر نفسه ، جـ 6 ، ص 309 ، عبد الوهاب بن منصور : المرجع السابق ، جـ 1 ، ص 311 .

(51) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني ، أبو يعقوب ، =

إلا صلحا سنة 465هـ[52] . وعهدي بأطلال هذه القلعة الحصينة قائمة إلى سنة 1328هـ[53] . وجبل عميرة هذا مُطل على بسيط يُدعَى أدخسال ، وبه إحدَى القصبات[54] الإسماعلية ، ولم تزل به الجنود الحسنية تحت قائد الرحَّى السيد التهامي البخاري إلى سنة 1332هـ[55] . وهذه القصبة وما اتصل بها من الأرض ذو مِياه عذبة ونظرة جذابة ، وغالب مياهها لا تضيع . وكان يصلح بها الليمون جدّاً والتفاح والسفرجل وغير ذلك من الحبوب ، وعن يسار أَرُكُّو المذكور جبل يُدعَى أَسُولْ[56] كلّه عيون أيضا في غاية العذوبة والبرودة ، وربما ماؤه يكون أعذب من ماء أركو ، وبه مدشَر لآيت وَاحِي ، وهذه المياه أيضا لا تستعمل إلاَّ في الذُرَة وما شاكلها . وقبلة منه تسير في فسيح بعد غابة ، فتهبط في مُنخفض من الأرض يُسمَّى جْنَانْ امَّاسْ عَلَمٌ مركَّب من عربية وبربرية معناه

= أكبر سلاطين المرابطين بالمغرب ، بنَى مدينة مراكش ، وأول من دُعي بأمير المسلمين ، شمل سلطانه المغربين الأقصَى والأوسط والأندلس ، وكان حازما ضابطا لشؤون دولته ، توفي عام 500هـ (1106م) ، ترجم له : ابن خلّكان : «وفيات الاعيان» ، جـ 2 ، ص 365 ، طبعة مصر ، 1892م ، 310 ، وابن القاضي : المصدر السابق .

(52) يوافق في التاريخ الميلادي 1072م .

(53) يوافق في التاريخ الميلادي 1901م .

(54) أي القلع ، وقلعة أدخسان بناها السلطان إسماعيل عام 1099هـ (1687م) بمحل القلعة القديمة التي كان بناها يوسف بن تاشفين وخُرِّبت .

(55) يوافق في التاريخ الميلادي 1913م .

(56) في المخطوطة : أسوال ، وهو خطأ .

الجنان الوسط أو جْنْ أَلْمَّاسْ معناه نَمْ في الوسط . وهو مدشر كان مخزنا لمحمد أُوحْمُّو وعائلته في حروبه ومضايقته ، وهو من عيون الأرض وزينة الطبيعة بقدرة الله من المياه العذبة المتدفقة التي لا تكاد تضبطها العين عن اليمين والشمال مع الصفاء والبرودة ، هذه تُنْسِيكَ الأخرى ، والجبال المحيطة بها تتفجر منها عيون تشق الجبال شقّاً كأنها سبائك الفضة أو الشمع المذاب ، وقد اتخذه الآن الخليفة أمْهَرُوق ولد محمد أُوحمُّو مصطافا صيفيا ، وبَنَى به قصراً على شكل فاسي ، واتخذ به فوّارات ، وفِسْقِيَات[57] المياه بها هطّالة ، ويمكن للجالس به أن يُمتِّع الطرف في جميع جباله المطلة عليه ، ولا أدلّ على جودة الموضع من أنّ بعضا من رؤساء الحكومة الفرنسية بخنيفرة ونواحيها يختار الإصطياف به على الاصطياف بفرنسا الجميلة وضواحيها ، وهذا المحلّ يبعد عن خنيفرة شرقاً بنحو 35 كيلومتراً ، وبالقرب منه جبل يُدعَى بُومْزِيلْ أي أبو الحداد يضاهِيه في المياه كذلك ، ويَميناً وشمالاً وأماماً سلسلة[58] جبال أخرَى منها تَاشَبُوتْ ، أجْدِيرْ ، أَفْلْكْتُوزْ ، سيدي بو محمَّد ، وهي في المياه والغابات سواسية .

---

(57) نافورات المياه .

(58) في المخطوط : سلسلات ، وهو خطأ .

الغابات

وكل هذه الجبال من أمام خنيفرة ذو غابات ملتفّة ، وتشتدّ من أَرُكُو وَأَسُولْ[59] ، وتبتدئ غابات الأَرْزِ الجميل من جنان ماس وبُومْزِيل ، ولا أعرف لهذه الغابات الأَرْزِيَة انقطاعا إلى جبال بْنِي مْكِيلْدْ[60] حيث تتصل بغابة عِينْ اللُّوح[61] وأزرو[62] من جهة ، وجبال آيَتْ إِحْنْدْ من جهة . والأَرْز هنا رفيع مرتفع إلى الأعِنَّة برؤوسه الحداد كأنه الحراب أو الأسنّة في جبال ذات شمَم[63] وإباء، مُعتزة بعظمتها ومَنَعَتِهَا كأنها الزَّبَّاءُ[64] ، عيونها دائمة السكاب، ولاتزال على رؤوسها تيجان السحاب ، وهي لأهلها جنّة ولغيرهم من الصحراويين عذاب ؛ لأنها جنّة في

---

(59) في المخطوط : أسوال ، وهو خطأ .

(60) قبيلة من قبائل البربر ، تتكون من إِيرْكْلاوْنْ وآيتْ نُومْنَاسْقْ ، مراكزها : أزرو ، عِينْ اللُّوحْ ، وَإِيتْزرْ (الأطلس المتوسط) .

(61) قرية من قرى الأطلس المتوسط تبعد عن خنيفرة بحوالي 70 كيلا .

(62) مدينة صغيرة تقع على مفترق الطرق المؤدية إلى فاس ، مكناس ، الراشدية ، خنيفرة . ومما يلاحظ أن زراعة أشجار الفواكه كالتفاح والإجاص والكرز والخوخ مزدهرة بمنطقة أزرو .

(63) الارتفاع والعلوّ ، ابن منظور : المصدر السابق .

(64) الزبّاء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أُذَيْنَة بن السُّمَيْدَع : الملكة المشهورة في العصر الجاهلي ، صاحبة تَدْمُر (بالعراق) ، وملكة الشام والجزيرة ، خير الدين الزّركلي : «الاعلام» : جـ 4 ، ص 41 . بيروت : دار العلم للملايين ، ط 4 ، 1399هـ / 1979م .

الصيف ، زمهرير في الشتاء ، كما أنشد في ذلك صديقنا علامة سوس وشاعرها السيد محمد أحمد المنوني :

أرضٌ بها حَربُ الرِّيَّاح الأَرْبَعِ
وجِباها صَيْفاً ذَوَاتُ البُرْقُعِ [65]
أما الشتاءُ فليس غَيْرَ جَهَنَّمٍ
عنها ارتحل إن كنت ممّن قد يعِي

سطرتها :

أرض بها حَرْبُ الرياح الأرْبَع
والرّعد يقصف في السَّمَا كالمَدْفَع
والبرق يخطف كالحِرَابِ اللُّمَّع
وجبالها صيفا ذَوَاتُ البُرْقُعِ
أما الشتاءُ فليس غَيْرَ جَهَنَّم
وجليدها كالزمهرير المُفْجعِ
ليست لغير أُناسها بمخيّم .
عنها ارتحل إن كنت ممن قد يعي

وذيَّلها :

لولا الزَّيَانِي ، أحمد ، الحَبْرُ الذي
قد قام مثل العسكَر المُتَمَنِّعِ

(65) اللثام ، ابن منظور : المصدر السابق .

لقضت عليّ بخيلها وبِرَجْلِهَا
فالفضل أجمعه لهذا الأَلْمَعِي

هذا الأَرْزُ عظيم ، وتبلغ الأرْزَة مائة متر طولاً وعشرات عرضاً ، ولكن مع الأسف لا يستخرج من الشجرة العظيمة صالحا جيّداً إلاّ شيء تافه بالنسبة لعظمة الشجرة ، وأظن أن ذلك لفقدان الآلة الصالحة ، وهذا الأرز كانت له قيمته أيام عمارة خنيفرة الأولى ، فمنه كان تزويد أبي الجَعْد وتَادْلا والدارالبيضاء ومُراكش ، وبالأخص مراكش ، وقد كان يصلها بسهولة وفي أقرب مدّة بنوع من الحيلة ؛ وهي أنهم يعمدون إلى الأحمال التي يراد وسقها فيربطون بعضها إلى بعض بحبال ويلقونها في وادي أم الربيع ويركبها راكب ، فلايزال يقذف بها الوادي وهو يسايرها حتّى تصل ما بين الرّْحَامْنَة (66) والسّْرَاغْنَة (67) قريبا من مراكش بنحو 80 كيلومترا ، فتخرج من الوادي وتُحمَل إلى مراكش بدون كبير كلفة ، وقد كانت التجارة منه بمراكش تدرّ على بعض الرأسماليين الذين لهم زبناء بخنيفرة أرباحا باهظة ، وقد استجد الناس الآن

(66) قبيلة ذات أصول عربية ، إحدَى دوائر عمالة مراكش تضم جماعات منها سيدي عْلِي بْنْ سْعِيدْ وابن كْرِيرْ والجْعَافْرَة والماء البارد وأَوْلاد عبُّو .... عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص 206 .

(67) قبيلة ذات أصول عربية ، إحدَى دوائر عمالة مراكش تضم جماعات منها العَطَّاويَة والدّشْرَة وأولاد يْعْقُوبْ ، وسيدي رْحَال وتَمْلاَّلْت وزاوية سيدي الخْطَّابْ ... ، بنعبد الله : المرجع نفسه ، ص 243 .

التجارة منه ، ولا أظن أنها بلغت ما كانت عليه لمضايقة العود الخارجي الرخيص له ؛ فالدار البيضاء لا تجلب منه شيئا البتة ، ومراكش إلاّ شيئاً نادراً ، ولا رواج له إلا بأبي الجعد ونواحيه .

أما باقي الغابة فهو أشجار مختلطة من : العرعار ، وشجر البلوط ، وتَاقَّة وهي السَّاج ، والطّرفاء ، والخزنق ، والدْرُو ، والجبُّوجْ والدَّفْلَى وغيرها .... ولا ينتفع بشيء منها غالبا بعد الأَرْز إلاَّ في آلات الحرث وإلاَّ في الوقود ورعي الماشية أيام الضيق أو الجذب .

وقد كانت النار وَيَدُ البشر يعملان في الغابة جهد المُستطاع من نحو سنة (1911م)[68] إلى سنة (1920م)[69] لما أجفلت القبائل الزيانية إلى رؤوس الجبال ولم يبق لهم منتجع بأزغار ، فضاقت بهم الأراضي الحراثية كالمرعَى أيضا لأن أراضي أزغار أوسع من أراضي الجبل ، فكان إذا هجم الشتاء والثلوج لا تستطيع البهائم الحركة ولا الخروج ، فيعمدون إلى الأفنان الصغيرة من الأشجار فيقطعونها لماشيتهم وبهائمهم ، ثم في الصيف يأتون إلى البقعة من الأرض فيقطعون جميع أشجارها كبارا وصغارا ويتركونها حتَّى تجفّ وتيبس فَتضرم فيها النيران ، فتصبح تلك البقعة التي

(68) يوافق في التاريخ الهجري 1329هـ .
(69) يوافق في التاريخ الهجري 1339هـ .

كانت أشجاراً باسقة وأفانين[70] متعانقة بلاقع[71] من جحيم وأكداسا من رماد. ثم يعمدون إلى تلك الأراضي المحروقة فيحرثونها بذلك الرماد يزعمون أنه لها كالسماد، وفي الحقيقة أنهم انتفعوا بالغابة بهذه الكيفية لأن هذه التربة تدرّ غلة جيدة من الحبوب، نعم لو طال الأمر لأصبحت الغابة في خبر كان، وهذه الغابة لاتزال خصبة طيبة المرعَى صيفا وشتاءً ولا يجف نبتها إلاّ في أيام معلومات.

تــربــة الأرض

وهذه الأراضي كلها الجبلية والأزغارية صالحة للازدراع بل غاية في الحبوب شعيراً وذرة وقمحا، وقمحها جيد ذو دقيق كثير يشبه القمح الرطب (فارينة)، وتنتج الأراضي الجبلية مرتين في السنة؛ تحرث شعيرا ثم بعد حصاده ذرَة، وهذه الذُّرة لا تصلح إلا سَقْوِيَةً، ثم هذه الأراضي كَسْبِيَة تصلح بها الماشية والأنعام والبهائم، وبهذه الأسباب التي هي كفيلة بالغبن كان عهدي بالناس مُثْرِينَ لأن طبيعة الأرض مساعدة لهم على كل شيء. ويكسبون الأغنام أكثَر من المعز ويكسبون البقر، ويستخدمون البقر في

---

(70) أغصان. ابن منظور: المصدر السابق.
(71) مقفرة. المصدر نفسه.

فلاحتهم وأعمالهم كالبغال أيضا وهي أكثر عندهم من الإبل ، والإبل لا تعمل شيئا ولا تُكسب إلا بقصد الزِّينة والتفاخر[72] وهي قليلة ، أما الخيل فإنها كثيرة أيضا وجيّدة شديدة الجري والسباق والعدو والتحفز والوثوب قادرة على تسلق الجبال إلاّ أنها لا تعظم ولا تسمن عندهم ، وأغنامهم من أفضل الأغنام المغربية سمنا ووزنا قليلة الحشو ، وقد تفضل أغنام تادلا من هذه الناحية لكن أغنام تادلا تفضلها بلذة المذاق وفتوّة اللحم والكِبَر والصوف الرطبة التي لا أحسن منها .

المعادن

ثم هذه الجبال أيضا لا تخلو من معادن فيوجد بجبل بُوزّالْ الحديد الجيِّد ، اكتشفته الدولة الحامية ونقّبت عليه وجرّبته فاستفادت ، إنه معدن له ثروة عظيمة بل هو من أغنَى المعادن الحديدية بالمغرب إلاّ أن استخراج كبريته وغلشه يستدعي نفقات باهظة إذ يستدعي استيراد أضخم الآلات ، وآخر ما انفصل عليه رأي الحكومة في مراكش حتَّى سنتي 1930 ـ 1932م[73] أنها تُرجئ العمل فيه حتَّى يرتفع ثمن الحديد ، ولعل الوقت الآن قد

---

(72) وَهْمٌ من المؤلف لأن الأهالي يستخدمون الإبل أيضا في حراثة الأرض .
(73) يوافق التاريخ الهجري 1349 ـ 1351هـ .

حان ، فقد أصبح ثمنه في ارتفاع زائد ، وناهيك أن انكُلترّا تُفكِّر في هدم قصر الزجاج الأثري بِلُنْدْرَة المعروف كرستال بلاس (Cristal Palace) لاستخراج أنقاضه المقدّرة بعشرة آلاف طن ، كما يوجد بجبل عوّام يساراً من خنيفرة بنحو 40 كيلومتراً معدن الإثمد والزنك . ويقال أن السلطان أبا الحسن المريني كان اتخذ هناك قصراً لضرب السكّة من المعدن المستخرج من جبل عوّام المذكور ، وهذا القصر كان يعرف قديما بقصر المعدن ، وعند البربر يعرف (بإِغْرْمْ أَوْسَّارْ) : معناه بالبربرية القصر الهرم ، وهو قصر عظيم لم يبق به إلاَّ الأطلال . كما يوجد[74] بمحلّ يُدعَى أَقَّا أَزَارِيفْ — معناه بالبربرية وادي الشبّ — جنوب خنيفرة بنحو 25 كيلومتراً على الضفة اليُسرَى لأم الربيع معدن الأثمد ، والأهالي يكتحلون بأثمده كما يوجد بمحل يُدعَى (تَفَرْنْتْ أَعِيرَمْ) شمال مريرت على بعد نحو 30 كيلومتراً معدن الإثمد ومعدن آخر يُقال إنه يصلح لطلاء السفن والطائرات ، كما يوجد محلّ شرقي خنيفرة بنحو 7 كيلومترات يقال أنّ به ذهبا قرب دار بْنْ عْقَّى . كما يوجد بجبل الكَّارة شرقي جنوب مريرت بنحو 3 كيلومترات معدن يقال أنه ذهب وفضة ، وبجبل أَعَّرَّاضْ شمال مريرت بنحو 3 كيلومترات منبع يقال أنه منبع البترول . كما يوجد بجبل كهف النسور[75]

---

(74) أي المعدن .

(75) هي حاليا قرية صغيرة .

غروبا من خنيفرة بنحو 35 كيلومترات على طريق أبي الجعد القديمة معدن لنتموان (L'antimoine) ، ويقال أنّ به فضة بنحو خمسة في المائة ، كما يوجد بأكْلموس[76] غربي خنيفرة بنحو 50 كيلومتراً على طريق مُولاَيْ بُوعزَّة[77] بمحل يدعَى بُويْدْجْعَى[78] معدن حديدي رصاصي كذلك .

ويقال أن بجبل مْعْمّرْ قرب زاوية آيت اسحاق (الزاوية الدلائية) محلّ به أحجار كريمة ، وهذه الأحجار موجودة مُحقّقة ، وهي ذات ألوان ، ومنها ذوات أصداف وغيرها ؛ فتوجد الصدفة قدر الجوزة وبداخلها نواة قدر الحمصة .

وبالجملة فالأرض والجبال الزيانية كلّها ذات كنوز ثمينة وينقصها العلم . ولهذا فإننا نخبر بهذه الأنواع المعدنية تقليداً للغير فقط لأن ذلك من شأن الاخصائيين ، وليس منهم في المغرب إلا الأوربيون ، أما الأهالي فلا علم لهم بشيء من هذا الفنّ الآن .

---

(76) قرية تبعد عن خنيفرة بثلاثين كيلا غرباً .

(77) قرية تنسب إلى أبي يعزَى يلنور بن ميمون، وهو شيخ مغربي من أهل السوس ، له شهرة الآن في الديار المغربية ، ويقال أنه أول من استعمل البارود في المغرب ، توفي عام 572هـ (1177م) ترجم له : أبو العباس العَزَفي : «رسالة في كرامات الشيخ الولي الصالح أبي يعزَى» ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، ضمن مجموع : 9447 ؛ وأحمد الشعبي : «المعِزّى في مناقب الشيخ أبي يعزَى» ، مخطوط الخزانة الملكية في الرباط ، رقمه : 517 .

(78) في المخطوط : بُويَدْجَعْ ، وهو خطأ .

الصيد بالجبال الزيانية

ويوجد بها جميع أنواع الصيد من الحجل والأرنب والذئب والثعلب والقنفذ والغربان والضبع والخنزير ـ وهذه الأشياء بكثرة ـ والغزال والنمر وربما حتَّى الوَعِل بقلّة. ويتحدّثون بوجود الأسد في أقاصيصهم وحكاياتهم كثيرا، ويُذكر أنه كان بثاغية قرية الوليّ الصالح أبي يعزَى قبل سكناه بها، وأنه جرت له معه كرامات، وغادر ثاغية التي كانت آجامه[79] من أجله كرامة، وينشدون في ذلك من شعرهم البربري : ثُرَى ثَاغِيْه سِي زْمْ : معناه خلت ثاغية من الأسد.

والظن أن هذا من الأقاصيص فقط لأن الوجدان يكذب ذلك؛ فطيلة مكثنا بزيان لم نره ولا أثره، وزيان مولوعون بحب الاصطياد والقنص، وبالأخص العائلة المحزونية عائلة محمد أوحمو وأولاده.

الـمـيـاه

والمياه المنحدرة من الجبال الزيَانية كلها عذبة دفّاقة تتكوَّن منها سواقي وأنهار صغار وكبار وأعظمها نهر أم الربيع، وقد تكلّمنا على

(79) ج أجمة : وهي الغابة التي يسكنها الأسد، ابن منظور : المصدر السابق.

منابعه ، ويليه سْرُو ومنبعه من جبال آيت إِحِنْدْ[80] ، ويليه شبوكة ومنبعه من أَكْلْمَامْ اَلْقَايْد[81] من آيت مْعِي وآيت خُويَا[82] ، ووادي بُوزْقُّورْ ومنبعه من سفح جبل أَقْلاَّلْ[83] . وعلى هذا الوادي المذكور كانت المدينة البربرية القديمة المدعوّة مدينة بُوزْقُّورْ .

وقد تتكون من المياه شلاَّلات كشلالة أم الربيع المنحدرة مِن جبل بُويَنْدْجِيكْ ، وشلاَّلة إفران الشرفاء ، وإفران هذا مدشَر يسكنه شرفاء علويون أمْرَانيون إخوان الشرفاء الأمْرَانيين بفاس ومكناس ؛ وليس هذا هو إفران الاصطياف القريب من الحَاجِبْ ببلاد بني مْطِيرْ ، كما يتكون من المياه أيضا بحيرات يدعونها أكْلمام ، ومنها أكْلمام اَلْقَايْد وأكْلمام أَزِيزَا أي البُحيرة الخضراء بين عزيزة وبُويَنْدْجِيكْ وأكْلمام اَلْهِيشَاتْ[84] ببلاد المُرابطين آيت بْلْحَاجْ .

وكل هذه المياه لا تُسْقِي غالبا إلاَّ الذرة والخُضر عدَى أهل تَسْكَارْتْ[85] يمين خنيفرة ، وهي مداشر يسكنها شرفاء علويون ؛ فإنهم يتخذون البساتين[86] على مائهم فتصلح عندهم الفواكه

---

(80) قبيلة بربرية توجد في الأطلس المتوسط .
(81) بحيرة القائد .
(82) قبيلتين بربريتين في الأطلس المتوسط .
(83) جبل يطلّ على خنيفرة .
(84) بحيرة الهوام .
(85) قرية تقع في إقليم خنيفرة .
(86) في المخطوط : الأجنَّة ، وهو خطأ .

كالإجاص والتفاح والمشمش والخوخ ، ولا تظن أن البرابر عاجزون أو متكاسلون لكنهم فلاحون كسّابون أكثر منهم جنّانين[87] . وهناك علّة أخرى هي أن البساتين[88] عندهم كأنها لا تملك أو عبارة عن شيء مشترك ، بل لاتزال فوضوية كأنها من آثار البُلْشفِيَة[89] . فترَى البستانيّ[90] كثير الإحتدام والشنآن ، يتهافتون على ضيعته كالفراش ، فهو معهم دائما في تهاوش وحراش حتّى يكلّ ويملّ ، فيدخله الجيش العرمرم المحتلّ ، هذا عهدي بهم فيما غَبَر ، ولا أظن الأمر تبدّل عن ذلك أو تغيّر .

---

(87) يعملون في البساتين . والجنَانْ في اللهجة الدارجة هو البستان .

(88) في المخطوط ، البحائر ، وهي كلمة دارجة تعني البساتين .

(89) ثورة قامت في روسيا عام 1917 لإسقاط القيصرية وإقامة دولة شيّوعية . ومما يلاحظ أن اليهود كانت لهم سيطرة شبه مطلقة على هذه الثورة وقيادتها حتّى وفاة لينين ، ونظرا لأن الرأي العام في العالم الإسلامي هو فريسة خداع مُنَظَّم مُتَّصِل ، يحاول إغراق المنتسبين إلى الإسلام في الجهل والتبعية باسم الشّعارات المضلّلة ، وحيث أن ليس في العالم الإسلامي من يجهل دور الغرب في المؤامرة ولم يتحدّث فيه ويكتب عنه ، ولكن الكثير هم الذين يجهلون صلة البلشفية والشيوعية باليهودية والصهيونية فكراً ونظاما ، ودورها في خلق ما يسمَّى إسرائيل ، فإننا سنحاول ــ في ملحق مستقل أفردناه للموضوع في ذيل هذا الكتاب ــ الكشف عن أبعاد هذه الصلة ، وحقيقتها وأهدافها لمصلحة اليهودية أولا وأخيرا .

(90) في المخطوط : الْجنَّان ، وهو خطأ .

الأصل

وأصل زَيَان من برابر آيت أُمَالُو أي آل الظل ، وهم فريق من برابر فازَازا ، وهم بطن من صنهاجة ، والظن بهم أنهم جاؤوا من الصحراء بعد شقّ قبيلة زعير – الذين هم من عرب معقل – الطريق من الصحراء إلى حيث مقرّهم الحالي .

وعلى كل حال فكلّهم يفخر ببربريَّته ويتخذها دليلا على عبقريته ، ومن عجيب الزمان انتحال الشرف لمحمد أوحمو وعائلته إمْحْزَانْ ، وهم لا ينتحلونه ولا يتحلّونه ، والمرابطون من ناحية الحَمَّامْ(٩١) قبيلة المؤرخ أبي القاسم الزَّيَاني يزعمون أنهم شرفاء .

ويوجد شرفاء علويون كثيرون بمداشر من قبيلة زيان ؛ فمنهم بمدشر أَرُكُّو ، ومنهم بمدشر الْهَرِي ، ومنهم بمداشر تَسْكَارْتْ ، ومنهم بمدشر إفْران . كل هؤلاء شرفاء علويون صحيحون ، كما يوجد بقرية سيدي محمد مْبَارْكْ(٩٢) غربي خنيفرة أولاده يزعمون أنهم شرفاء إدريسيون ، وبقرية ثاغية أيضا أولاد مولاي أبي يَعْزَى يزعمون أنهم شرفاء إدريسيون أيْضا . وهاتان القريتان غربي خنيفرة بنحو 60 أو 70 كيلومتراً . أما أولاد سيدي بُوعَبَّادْ قرب أبي الجعد فإنهم من عرب تادلا من بني زمور ، ولكنهم عند دخول الدولة

(91) قرية تبعد عن مريرْت بحوالي تسع كيلومترات شرقا .
(92) يعرف عند الأهالي بسيدي محمد أومْبَارك .

الحامية اختاروا أن ينضمّوا لحكم زيان قصد التَّوْسِعَة في الأرض ، فنفعهم هذا الاختيار من حيث المادة .

أما سكان خنيفرة فهم مختلطون من الجنود الحسنية أولا ، ومن غيرها ثانيا ممّن جاء بقصد الاتجار والاسترزاق ، ومسيو فْرَانْسْوَا بِرْجِي فصّل في كتابه «محمد أُوحمُّو» تفصيلا لمن كان يسكنها حدّاً وحساباً .

اللغة

واللسان الأصيل ثمة هو البربرية ، لكن داخلتهم العربية ، منهم الوجهاء كلّهم يتكلّمون العربية ، وقد كنا نظن أن العربية داخلتهم مع دخول الجنود الحسنية فقط ، ولكن عند التفطن وجدناها داخلة مع الزمان قبل التاريخ(93) ، كبعض أسماء الجبال والأماكن مثل جبل أبي موسَى ، جبل أبي حيّان ، جبل الحديد ، جبل عميرة ، جبل كهف النسور ووادي أم الربيع ، أيت يعقوب أُوعيسَى ، آيت أحمد أُوعِيسَى ... كما أن اللسان البربري لم يرحب بالأمور العربية الداخلة أو لم يترجمها للغته مثل السكر والأتاي والكأس ، وأشباه ذلك فهي لازالت على عربيتها لم تتغير .

(93) يقصد المؤلف بهذه العبارة : «قبل هذا التاريخ» أي قبل دخول الجنود الحسنيّة خنيفرة .

السكنى

وسكنى الجميع الخيام السود الرفيعة العمود ، وما أجمل الخيامَ عند اجتماعها والهُيَام[94] بها عند انتجاعها في خرجات[95] الربيع والأنوار وروائح الأعشاب[96] والأزهار .

تَلقَى الأيام وقد صفت بها فغدت
مثل السَّماء زهت بالأنجم الزُّهُرِ
قال الأُلى قد مضوا قولا يصدّقه
نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غَيَر
الحُسْنُ يَظْهَر في بيتين رونقُه
بيت من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَر

ويزيد في زَيْن الخيام خرجات الأغنام والأنعام ، فإن القوم ذوو أنعام وماشية وحُلل موشية وحُلل سندسية ، وبمثل ما يعجبون بسكنَى الخيط يأنفون من سكنَى الحِيطْ[97] . وقد كان المولى عبد

---

(94) شدّة الحب لها ، ابن منظور : المصدر السابق .
(95) يقصد النزهة والخروج للفسحة .
(96) في المخطوط : العشوب ، وهو خطأ .
(97) أي لا يرغبون في سكنَى البيوت .

الحفيظ[98] ـ رحمه الله ـ أراد أن يكافئ محمد أوحمّو في معاضدته الأولى له ومناصرته فاستصحب معه في طريقه من مراكش إلى فاس[99] أحد أولاد محمد أوحمو المدعو حُوسَا[100] وأرفقه بابن عمه المدعو أولْعَايْدِي الذي كانوا يُعدُّونه ليوم الكريهة. ولمَّا استقرّ به المقام بفاس نصب حُوسَا هذا باشا على فاس، وناهيك بها رُتبة، وأسكنه من قصور التازيين أجمل عَتَبَة[101].
ولكن البربري لم يزل من ذلك كلّه يتملّص ويتربّص الفرص ليتخلّص حتّى رخّص له في الإياب، فخرج لا يلوي على الأعقاب، فبات بأول محطة خارج فاس، فأخذ فضل معزة وفركها وشمّها وقال: شَمٌّ فَضْلَةَ المَعْزِي ولا قْصُور التَّوَازِي.

ولا تظن أنّ في هذا مبالغة، فإن الناس في واد، وهؤلاء البرابر في واد، وفي أخيه باشا الأطلس الحالي حسن بن محمد أُوحْمُّو مثال صادق؛ فإنّه لا يحضر خنيفرة بمكتب الأمور الأهلية إلاّ نادراً رغم التقاييد المخزنية والوظائف والنّياشِين[102] التي في

---

(98) عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الحسني العلوي، من سلاطين الدولة العلوية بالمغرب الأقصَى، ترجم له ابن زيدان، «الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة»، ص 117، طبع في الرباط، 1356هـ / 1937م.
(99) في المخطوط: لفاس، وهو خطأ.
(100) هو اختصار لاسم الحسين.
(101) أجمل دار.
(102) الأوسمة.

عنقه الحكومية ، وألذّ ما عنده هو الاصطياد في رؤوس الجبال ، والخلوة في الكهوف والشِّعاب ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

الصحة

البرابر أصحاء أقوياء يقتحمون المشاق في أعمالهم والأخطار ، ويسبقون الريح في العدو ؛ تبصر بأحدهم ثم تفقده كأنه قد طار . لا تلحقهم غالبا أمراض ، ولا تزهق لهم نفوسا ، ولا يعرفون وباءً ولا طاعونا ولا تيفوسا . لا يموت منهم غالبا حتف أنفه إلاّ مقوّس الظّهر أو الذي مرّ عليه حين من الدهر ، وما عرفت زَيَانْ التيفوس إلا بعد سنة 1323هـ[103] أي بعد سنة المجاعة المدعوة بوهيّوف التي ذاقها[104] المغرب وضاق به النطاق ، فماج بعضه في بعض يطلب الارتزاق . وقد كان نصيب خنيفرة وزيان من هؤلاء المنكوبين كثيرا ، فرحّبوا بهم في خيامهم ومداشرهم وعاصمتهم خنيفرة ، ولعلّه من جملة التحف التي جاءت مع هؤلاء الزوار .

نعم كان الجدري يفتك بالنشء فتكاً ذريعا ويرديه إلى قبره سريعا ، وقد كانوا يصابون بنوع من الحُمَّى إبَّان القيظ ولكثرة

---

(103) يوافق في التاريخ الميلادي 1905م .
(104) في المخطوط ذاق ، وهو خطأ .

العمل ، ولكن الدواء عندهم سهل ، لا يزيدون على تغليف رأس المحموم بالعرعار مرّات فيقوم العليل كأنما نشط من عِقَال .

أما المصابون بالرَّصَاص فكثيرون جدّاً جدّاً . والدواء عندهم واحد ولو تنوّعت الضربات وتوالت الطلقات في البطون والغضون[105] أو كسرت العظام وبالغت في الالتحام ، كل ذلك سهل إذا لم ينفذ المقتل. فالدواء الوحيد هو الكيّ والكيّ فقط ، فالكسر يجبر ويربط في غاية الحذاقة ، والأمعاء تردّ لمحلّها وتخاط بالحرير في رفق ولباقة ، ثم الكيّ أيضا فيقوم المُصاب وقد استغنَى عن الترياق والمرهم وكأنما مسّه عيسَى بن مريم .

صفاتهم وأخلاقهم

وأخلاق هؤلاء البرابر شجاعة وإقدام ، وجود وإكرام ، واحتفاء بالضيف وإنعام ، والنساء شريكات الرجال في خدمة الأضياف ، وخيامهم كفيلة بأنواع الراحة ، لا يكاد يستقرّ بالضيف الجلوس حتَّى تقام في الأنعام حرب البَسُوس ، فيذبحون له الكبش أو الشاة أو صغار التيوس ، ويَقْرُونَه[106] بالشواء وأبو

(105) ما انطوَى وانثنَى من الجلد . ابن منظور : المصدر السابق .
(106) من القِرى وهو إطعام الضيف . المصدر نفسه .

اللفائف[107] ويفرشون له بُسُطاً من الحصائر المرقومة والقطائف، ويسقونه من الشراب أتاياً، ولا يعرفون دِفَاناً[108] ولا شمبانيا. هذا الغالب من أوصافهم. وقد تجد فيهم نادراً من يفوق في بخله مَادِراً[109]، فيعبس في وجه الضيف، ولربّما إذا سمعه قام لحربته أو السيف كما قال الأول :

رءا الضيف مكتوبا على باب داره
فَحَرَّفه ضيقا فقام إلى السيف
فقلنا له خيرا فظن بأننا
نقول له خبزا فمات من الخوف

لباسهم القميص والبرنس، وشعارهم إسبال اللِّحَى وحلق الرؤوس، وطعامهم غالبا الكسكوس، يعتمون العمائم العظام في ليات مبعثرة غير منظمة ولا منتظرة.

الصناعة

كانت بخنيفرة عدّة صنائع، لكنها بسيطة مما تدعو الحاجة إليه

---

(107) قطع من كبد الضأن تُلَفّ بأجزاء من شحومها، وتشوَى على قضبان، فَيطْعَمُهَا النّاس.

(108) الخمـر.

(109) رجل عربي من بني هلال بن عامر بن صعصعة عرف بشدّة بخله، ابن منظور : المصدر السابق.

كالنجارة والحدادة والخرازة والبناءة والصباغة والدباغة ، وهاتان متقنتان جداً لتوفي أسبابهما بالنباتات الجبلية والعقاقير الطبيعية التي لا تكشف ولا تكسف مع طول الأيام ، ويحترف في الصباغة حتَّى النساء ، ومن أجل جودة الصباغة تجود القطائف الزيانية جداً فتبقَى على حالها ، وينسجها الرجال والنساء ، ولا يعرف زيان غالبا من الفرش إلاّ القطيفة أو ما يسمونه تَارْحَّالْتْ . والأولى من خالص الصوف الجيد ، وهذه من الصوف ، وتنمّق بخيوط القطن ، وربما الحرير ، فينتج عن ذلك شكل بديع . أما الزربية المحدثة عندهم فلا أعرفها قديما وإنما حدثت بحدوث الحوادث ، وقلّدوا فيها الزربية الرباطية ، ولكن لازالت لم تُجَدْ إجادة القطيفة عندهم ، والقطيفة تكاليفها بأكثر من ثمنها اليوم ، ولا يرغب العامل فيها لذلك . وينسجون أيضا برانيسهم وهي متينة للشتاء والدفء ، وربّما ينسجون حتَّى الجلاّبية ولكن نادراً .

الديانة

ولا دين عند البربر إلاّ دين الإسلام ، ولا يتخذون إلاّ إيَّاه لِلَّه ذريعة ولا يرضون سواه شريعة ، يصلون ويصومون وقد يحجون . ومن لم يصلّ فهو عندهم عاصي وتارك ، ومن لم يزكّ فهو عاص كذلك ، أما الصيام فلا يستطيع أن ينتهك أحد حرمته بحال . والقرآن عندهم يُحفظ ، وكتاتيبه في الخيام والمداشر موجودة .

واشتراط الطلبة الملازمين بالمساجد لإقراء القرآن في البرابر أنفع عندهم من غيرهم لجودة مسجد البربر ، وهي الخيمة المتينة الدافئة المعبّر عليها عندهم بسيدنا جبرائيل ، ووجود ثور المسجد الذي يحمل المسجد يوم الرحيل بخلاف غيرهم ، ولهم أَحباس باسم المسجد من الأنعام والأغنام إلاّ أن من مقتضيات هذه الأحباس أنهم بعد دفعهم اللَّوازم الشَّرْطِيَّة (110) يَنتفعون بما تدعو الحاجة إليه من الأمور الخيرية كالضيافة وزيارة مشايخ الطرق (111) . وربما قد

---

(110) عقد يتمّ بين الأهالي وبين واحد من حفاظ القرآن الكريم على أن يأمّهم في الصلوات الخمس ، ويُحفِّظُ أطفالهم القرآن ، وذلك مقابل مبلغ من المال وكمية مُحدّدة من الحبوب تمنح له في آخر العام ، ويكون الدفع عادة أثناء موسم الحصاد .

(111) ومعنَى ذلك أنهم يُقدّمون القرابين والهدايا لمشايخ الطرق الصوفية ، الأحياء منهم والأموات ، وهذا ناتج عن شعورهم بأن هؤلاء المشايخ بمثابة الواسطة بينهم وبين الله ، ومنهم من يذهب أبعد من ذلك فيظن أن الأموات منهم يملكون لهم الضر والنفع إلى درجة أنهم يتخذونهم شركاء مع الله بحيث يطلبون منهم ما لا يطلب إلاّ من الله جلاّ وعلا . وهذا اعتقاد خطير يرمي بصاحبه في هاوية الشرك الأكبر ويخرجه من الملة أعذانا الله من ذلك ، ويكاد كثير من البربر يدينون بالمعتقدات الخرافية من تقديم النذور للموتَى وتقديسهم والتمسح بالأضرحة وإقامة المواسم إلى غير ذلك من البدع التي لا يقرّها الإسلام والمنافية لعقيدة التوحيد . ويرجع ذلك إلى انتشار الجهل وعدم الوعي بينهم ، وقد استغل بعض مشايخ الصوفية هذه الأوضاع المتردية فقاموا يخدّرون العقول بالخرافات والأساطير لتكريس التبعية لهم من جهة ، كما كانوا يؤلبون البربر ضد السلطة المركزية وعدم الاذعان لها لتحقيق طموحاتهم في الحكم الزماعة من جهة أخرى .

يشترون منها حتّى القرطوس[112] ، وهكذا وبهذا الإسم تحبس الأحباس عندهم وتصرف كذلك . أما عاصمتهم خنيفرة فبها مسجدان لإقامة الجمعة أقدمها مِنْ بناء السلطان المولى الحسن ، والزوايا كثيرة بخنيفرة كالطرق الصوفية فيها ، وأدق الطرق الدرقاوية جاءت من أبي بكر أَمْهَاوْش[113] وأحزابه ، ثم التيجانية دخلت مع الجنود الحسنية ، والكتانية من أوّل ظهور شيخها ، والقادرية ، والمعطوية ، والعيساوية ، والحمدوشية وغيرها[114] .

وقد كان بخنيفرة قاض من قبل السلطان المولى الحسن جاء مع الجنود الحسنية هو الشريف المولى إدريس بن سعد الحسني

---

(112) هي كلمة فرنسية (Cartouches) درج استعمالها في اللهجة الدارجة ، وهو الرصاص الذي يستعمل في البنادق للرماية .

(113) صوفي مبتدع ، من اتباع الطريقة الدرقاوية ، اشتهر أمر أبيه في دولة محمد بن عبد الله بين البربر الذين كانوا يخدمونه ، ولما نهض محمد بن عبد الله إلى القبيلة التي كانت تحميه وهم كَرْوان فرَّ هذا إلى رؤوس الجبال ، ولمَّا هلك ترك عدّة أولاد منهم أبو بكر هذا ، وقد تبع سيرة أبيه في التدجيل والتمويه على جهلة البربر تثبيطهم عن طاعة السلطة، وتمكّن تأثيره على قلوبهم واستحكمت طاعته عليهم وتمرّدوا بإيعازه على السلطان سليمان الذي قام بمحاربة البدع والخرافات وعمل جاهداً على ردّ الناس إلى النهج الإسلامي القويم والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية . ومما يلاحظ أن أرباب الطرق الصوفية كانوا يرون في هذه الدعوة خطرا على مصالحهم وامتيازاتهم وإيذانا بإزالة غشاوة الجهل والغفلة عن الأهالي ، ولذلك أمعن أمهاوش في التحريض على السلطان سليمان ، فشق البربر عصا الطاعة وعثوا في الأرض فساداً ، فسيّر هذا السلطان إليهم الجيوش ، لكن طبيعة تلك المناطق الوعرة حالت دون احتوائهم .

(114) والجدير بالملاحظة أن الطرق الصوفية تنشر عن الإسلام صورة مشوّهة =

التلمساني ثم الفاسي ، وهو من أولاد ابن سعد شرفاء هاجروا من تلمسان وسكنوا فاساً . وهذا القاضي كان محظوظاً ملحوظاً عند محمد أوحمو ، وتزوّج هذا بنته زينب ، تُدعَى الفاسية ، ولما توفي القاضي المذكور خلفه في وظيفته أخوه المولى علي بن سعد، وهو

= سيئة ؛ فإنّ من رأى أولئك الدراويش بطقوسهم وحركاتهم ، وعلم اعتمادهم على الخرافة والتدجيل فلاشك أنه سينفر من الإسلام ، لأنه لا يرَى إسلاماً حقيقياً ونظاماً حضارياً شاملاً لشؤون الحياة ، يمثل بمبادئه ومفاهيمه الأساسية من عقيدة وشريعة وأخلاق وبما يحققه من تكامل العوامل المادية والمعنوية إنجازاً لا نظير له في مضمار التقدم والرقي .
إن معظم الطرق الصوفية جاءت نتيجة الجمود الذي خيّمت ضلاله القاتمة على العالم الإسلامي في القرون الأخيرة بسبب الإنحراف عن مقتضيات العقيدة الإسلامية ، وصاحب ذلك ركود في الحركة العلمية التي أخذت تعيش عصر الإحتضار ، إذ كانت مراكز التعليم في ذلك الوقت ضئيلة ومحدودة ، كما أن حركة التأليف اقتصرت على بعض الشروح والنوازل والحواشي الفقهية التي كان يغلب عليها التقليد الأعمَى مع ضعف الأسلوب وركاكة الألفاظ ، والجهل بحقيقة هذا الدين والغلوّ فيه مما يظهر جليّاً في المدائح النبوية والمقطوعات الصوفية .
ويمكن القول هنا أن الانحراف عن التصور الإسلامي الصحيح سببه أن فريقا كبيرا من الصوفية غرّه الوهم وطاش به الفكر حتّى بلغ درجة الغلو في إساءة فهم شخصية الرسول ﷺ ، فقد ظن هؤلاء أنه لا تتجلّى عظمته إلا إذا أحاطت حياته خوارق وصفات غير بشرية كالعلم بالغيبيات وغير ذلك ، فاتبعوا أنفسهم هواها — وهم فوارس ميدان انتحال الكرامات — في تصوّر النبي ﷺ وكذلك أولياؤهم بصفات لا تنبغي إلاّ لله جلّ وعلا .
فما لا ريب فيه أن مثل هذه الأمور كالتوسل والاستغاثة وعلم الغيب لا يجوز أن يشارك فيها الرسول ﷺ الله عز وجلّ ، فضلا عن الأولياء ، لأن =

الذي لم يزل قائما بوظيفة خطبة المسجد الأعظم كذلك حتّى فارق خنيفرة سنة 1332هـ (1913م) لجبال إِمْهِوَاشْ حيث طوّحت به الغربة ونادته التربة ، فمات هناك غريبا كاسف البال كئيبا ــ رحمه الله ــ فمن تلمسان إلى تخوم جبال آيت مَشَّانْ .

مشيناها خطاً(115) كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطاً مشاها
وأرزاق لنا متفرقاتٌ
فمن لم تأته حقا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض
فليس يموت في أرض سواها

= الله تعالى قضَى أنه الكاشف للضر لا غيره ، وأنه القادر على إيصال الخير ، وأنه المستغاث لذلك لا مُرْتَجَى غيره ، فهو المنفرد بهذه الصفات لا يشاركه فيها مَلَكٌ ولا نبيّ ولا وليّ .

وهكذا في ظل هذه الظروف والمعتقدات أصبح التصوف ــ الذي كان في الماضي زهداً في متاع الدنيا وحطامها ــ دروشة وتمسّحا بالقبور والمزارات ، ونشراً للبدع والخرافات ، وغلبت على طرقه الشعوذة ، وتظاهر بعض مشايخه بالزهد والعبادة لاستغلال عوام الناس في مصالحهم ومآربهم الخاصة .

(115) في المخطوط : خطَى ، وهو خطأ .

اليهود

أما وجود اليهود فأمر غير معهود ؛ لا ذكر لهم بجبال زيان البتَّة ، ولا يحوم حول أراضيهم أحد منهم ولو فلتة . ومحال أن يتصور شخص اليهود بمحلّ كان يعمُّه نفوذ محمد أُوحْمُّو من أبي الجعد إلى صحراء تافيلالت . وكان شخص اليهودي يتخيل إلينا كالغول يُسمع ولا يُرى[116] .

السياسة

بدأت السياسة المخزنية في هذا الجبل من عهد حمُّو والد محمد أوحمو المذكور . واشتدت العلاقة والرابطة بعد 1290هـ[117] لما

---

(116) من المعلوم أن اليهود قوم عُرفوا بالجشع والطمع وحب المال والتعامل بالرِّبا واحتكار النفوذ واستغلال ما سواهم والحقد على غيرهم ، كما أنهم مصدر الرذيلة والانحلال والميوعة أينما حلّوا ليَسْهُل عليهم احتواء غيرهم ، وتوجيه حياة الناس على نحو يكفل لهم تحقيق مصالح ومكاسب مادية لا تُؤدّي عادة ثمارها إلاّ في جوّ آسن موبوء بالفيروس اليهودي : الافساد في الأرض .
ويبدو أن هذه الصفات وهذه المواقف اليهودية اللاّإنسانية ربّما هي التي جعلت محمد أوحمو يتوجس خيفة منهم ، وبالتالي لم يسمح لهم بالتغلغل في منطقة نفوذه .

(117) يوافق في التاريخ الميلادي 1873م .

استنجد والد محمد أوحمو بالسلطان المولى الحسن على أعدائه الألدّاء آيت سَخْمَانْ وإشْقِّرْنْ ، فصادف من السلطان قبولاً ، فجهزه بالجيش ، ورأّس والدي على الجيش المذكور .. ومن ذلك العهد المشار إليه والروابط متينة بين المخزن الشريف ومحمد أوحمو ، وسارت كذلك بعده أيام ولديه المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ وصاهره هذا كما صاهر الكَلاوي[118] وأمثاله . وهذه المصاهرة كانت على بنت لمحمد أوحمو تُدعَى رابحة أهداها والدها للمولى الحسن سنة 1305هـ (1887م) لمَّا جاء لزيان وخيَّم بأدخسان وهي صغيرة ، ولمَّا نُصِر المولى عبد الحفيظ بمراكش أعلن زواجها ووجّه لوالدها من التحف والسلاح شيئا كثيرا ، وكان ذلك من حسن سياسته ؛ فإنه فتح كنز محمد أوحمو الدفين بهذا الطلسم العجيب ، فناصره في بداءة الأمر حتَّى دخل فاس ومكناس على طريق زيان فبني مكَيلد فبني مطير بعد أن كان مزمعا المسيرة على زعير وزمور .

وفي الأخير نفض محمد أوحْمُّو يده من المولى عبد الحفيظ رغم المناصرة والمصاهرة ، وبه خُتمت السياسة والموالاة المخزنية التي عاشت دهراً طويلا في صفاء وهناء ، وطيلة هذه المدَّة كلها لم يقطع محمد أوحمُّو هداياه عن المخزن ومواصلته في الأعياد ؛ فكان

(118) أحد القواد الإقطاعيين في عهد الإستعمار الفرنسي ، امتد نفوذه إلى كثير من الأماكن الواقعة في منطقة مراكش .

يهدي له من الأنعام والأغنام والصّيد كالغزلان والنَّمر أحياءً ، وكان السلطان يُكافئهم[119] بالسلاح من المكاحل[120] والقرطوس وربما حتَّى الأنفاض[121] والكور[122] ، ويوجه أيضا مؤنة العسكر المرابط بخنيفرة . وتحت اليد كناشة في آوائلها قائمة مؤنة المحلة السعيدة بزيان[123] مؤرّخة بـ 11 ذو القعدة عام 1298هـ[124] . وآخرها قائمة مؤرخة بـ 7 ذي الحجة 1325هـ[125] ، وهذه هي الأخيرة .

السلطة والحكم

وهذه الأشياء الذي ذكرنا كانت هي السبب في سعة سلطة ونفوذ محمد أوحمُّو في القبائل البربرية ؛ فقد تقوَّى نفوذه بجنود المخزن وعدّته ، ثم إن[126] قبيلة زيان من أشدّ الشجعان ، ومحمد أوحمّو وعائلته من المغامرين في المقاتلة ، وفي الرماية شيء

---

(119) في المخطوط : يردّهم ، وهو خطأ .
(120) البنادق .
(121) المدافع .
(122) القنابل .
(123) أي خنيفرة .
(124) يوافق في التاريخ الميلادي 1880م .
(125) يوافق في التاريخ الميلادي 1907م .
(126) أضفت كلمة «إنّ» ليستقيم معنَى الجملة .

عجيب ، ومن أمثال البطولة القائد بوعزّة ولد محمد أوحمّو . ومن أسباب نفوذ وسلطة محمد أوحمُّو أيضا أن قواد العسكر الحسني أيضا كانوا محنكين مجرّبين في الحروب والسياسة وتدبير الأحكام .

وقد كانت الحرابة والسرقة كثرت في سنة 1323 ـ 1324هـ[127] ، فاستشارهم في الدواء والعلاج ، فأشاروا عليه بالحدّ الشَّرعِي وهو قتل المحاربين واللصوص ، فكانت التجربة ناجحة ، فبمجرّد تنفيذ الحكم في خمسة أو ستة من العتاة أعدموهم رميا بالرصاص استراح الناس وعمّ الأمن سائر ما يصله نفوذه . وفي حوالي سنة 1330هـ[128] عندما دخلت الدولة الحامية فاساً ومكناساً وأبا الجعد اضطربت الجبال البربرية اضطرابا ، وماجت القبائل بعضها في بعض ، وانقسموا[129] جماعات وأحزاباً ، بماذا يلاقون جنود الدولة الحامية ؟ وفي الأخير أجفلوا إلى رؤوس الجبال العالية وتركوا خنيفرة خرابا ، ودخلت الدولة الحامية خنيفرة .

[حُرِّر بفاتح ربيع عام 1356هـ الموافق 12 ماي سنة 1937م . نائب قاضي واد زم أحمد بلقاسم] .

---

(127) يوافق في التاريخ الميلادي 1905 ـ 1906م .
(128) يوافق في التاريخ الميلادي 1905 ـ 1911م .
(129) في المخطوط : تقسموا ، وهو خطأ .

ملحق

أثر اليهود
في الفكر الشيوعي

بقلم المحقق

اليهود والشيوعية

اليهود في الثورة البلشفية

ورد ذكر البلشفية في المخطوط ، فانتهزت الفرصة لكشف النقاب عن أبعاد هذه الثورة التي خدع بها الكثيرون ، ولبيان حقيقتها وأهدافها وصلتها الوثيقة بالصهيونية ، وصلة الفكر الشيوعي عامة باليهودية لمصلحتها أولا وأخيرا .

قامت الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م لإسقاط القيصرية وإقامة دولة شيوعية . ومما يلاحظ أن اليهود كانت لهم سيطرة شبه مطلقة على هذه الثورة وقيادتها حتَّى وفاة لينين . ففي دراسة حديثة صدرت عام 1965م لكاتب يهودي أمريكي عاصر لينين ورافقه وهو «لويز فيشر» ورد أن لينين يهودي الأصل ، وذهب إلى نفس القول من قبل مجلة «فرنسا القديمة» عام 1918م ، وصحيفة «الساعة الباريسية» ذات الاتجاه الاشتراكي الراديكالي عام 1917م ، وقالت أن اسم لينين اليهودي هو «زيدر بلوم» .

ومما يؤكد دور اليهود في هذه الثورة البلشفية أنه في عام 1907م من شهر مايو انعقد في لندن مؤتمر الحزب الشيوعي

الخامس والأخير قبل الثورة ، حضره 105 مندوبين عن البلشفيك بزعامة لينين ، و97 من المنشفيك بزعامة مارتوف و44 من الديموقراطيين الاشتراكيين تتزعمهم روزا لوكسمبورغ ، و55 من الاتحاد اليهودي يتزعمهم رفائيل أبراموفيتش وليبر غولدمان ، و35 من الديموقراطيين الاشتراكيين الليتوانيين يتزعمهم دانيشفسكي ، وكانت قيادة هذه المنظمات جميعا لليهود : لينين ، مَارتُوف ، روزا لوكسمبورغ ، أَبْرَامُوفِيتْشْ ، ليبر غولدمان ، دانِيْشْفْسْكي ، وضم المؤتمر من أصل 336 مندوباً 220 مندوب يهودي و116 من أصل غير يهودي . وأعقب هذا المؤتمر إصدار صحيفتين : صحيفة «بروليتاريا» ، وتمثل البلشفيك ، ويحررها لينين وبْروفَنْسْكِي وزينوفييف وكامينيف وكلهم من اليهود ماعدا **بروفنسكي** . وصحيفة «غولوس سوسيال ديموكرات» أي الصوت الاشتراكي الديموقراطي ، ويحررها مارتوف وبليخانوف وإكْسْلْرُود ومارتينوف – بيكل – وكلهم يهود ماعدا **بليخانوف** ، ثم أصدر تْرُوتْسكي اليهودي أيضا في نفس العام (1908) صحيفة «فيينا برافدا» .

وهكذا كانت مصادر الفكر الشيوعي جميعا تسيطر عليها عناصر يهودية ، كما كانت المنظمات الماركسية كلها من صنع أيديها وتنظيمها وبقيادتها .

وقد لقت الحركة البلشفية دعما ماليا مكشوفا من البيوتات اليهودية الكبيرة ؛ فقد صرّح جاكوب شيف المليونير اليهودي بأن

الثورة الروسية نجحت بفضل دعمه المالي ، وقال أنه عمل على تحضير ذلك مع تروتسكي ، وفي ستوكولم كان اليهودي «ماكس وَارْبُورْكْ» ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود ، ثم انضم إلى هؤلاء يهود آخرون من أصحاب الملايين : والْفْ شْبُورْكْ ، وجِيفُو لُوفْسْكي الذي تزوج تروتسكي ابنته .

وفي أعقاب نجاح الثورة واستيلاء الشيوعيين على السلطة قام لينين :

– **أولا** : بإصدار قرار بتجريم العداء لليهود ، أي أنه اعتبر العداء لليهود جريمة معاقبا عليها ، وكان قرارهُ هذا تعبيراً عن عرفان الثورة بالجميل ليهود روسيا في دورهم الأساسي بتقويض النظام القيصري . ونجد هنا أن لينين ألغَى الموقف الرسمي والمجتمعي من اليهود دون أن يلغي في المقابل موقف اليهودية من الدولة والمجتمع ، وهو موقف يقوم على التغلغل في المرافق والمراكز الحساسة واستغلال النفوذ .

– **ثانيا** : أصدر إعلانا يَعِدُ فيه بتأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكان ذلك في نفس المرحلة الزمنية التي أصدر فيها بلفور ــ وزير خارجية بريطانيا ــ وعده المشهور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ولم يكن هذا التوافق فلتة أو صدفة ، وإنما حدث وفق مخطط مدروس ، وبذلك حققت اليهودية انتصارين في اتجاهين مختلفين وبقوتين متناقضتين . فقد كانت هذه المسألة ــ إقامة

كيانٍ صهيوني في فلسطين ــ نقطة الالتقاء الوحيدة عام 1917م بين الشيوعية والرأسمالية .

وعلاوة على ذلك فإن لينين ــ قائد الثورة ــ بنَى فكره وإيديولوجيته انطلاقا من الفكر الماركسي ، وماركس (Marx) كما هو معروف كان يهودياً . ويجهل كثير ممن وقعوا في شباك الماركسية أن ماركس الذي اشتهر بالدفاع عن الحرية وحرية المستضعفين بصورة خاصة كان يؤيد الامبراطورية البريطانية ــ وهي امبراطورية أمبريالية توسعية ــ بل وقد جعل مصالح الديموقراطية الثورية ومصالح انجلترا مترابطة وفي كفَّة واحدة ، وعبَّر عن ذلك في إحدَى المقالات التي كتبها في صحيفة «نيويورك تربيون» الامريكية التي كان مراسلا لها في أوربا قال : «في هذه المسألة ــ أي المسألة الشرقية ــ نرَى أن مصالح الديموقراطية الثورية مترابطة مع مصالح انجلترا بشكل وثيق ، فلا الديموقراطية ولا انجلترا تستطيع أن تدع القيصر يجعل من القسطنطنية إحدَى عواصمه . وإذا سارت الأمور نحو الأسوأ فإننا سنرَى الواحدة أَو الأخرى تتصدَّى له بنفس الزخم والمقاومة» نيويورك تربيون (New York Tribune) ، 7 أبريل 1853م .

كيف ذلك ونحن نعلم أن بريطانيا ذات اتجاه ليبرالي أمبريالي يتناقض قلبا وقالبا مع ما يسمَّى الديموقراطية الثورية أو الاشتراكية الثورية التي يزعم ماركس أنه يتبناها . إنّ في ذلك تناقض واضح

وبيّن يكشف النقاب عنه أنَّ ماركس رغم تظاهره بالإلحاد لإضلال وغواية البشر كان يهوديا في الضميم ؛ إذ كانت بريطانيا وقتئذ موئل اليهود وسندهم الأكبر إلى جانب هولندا ، وذلك قبل أن ينتقل مركز الثّقل اليهودي بصورة نهائية إلى الولايات المتحدة ، بل كان ماركس صهيونيا ، وله كتاب اسمه «المسألة اليهودية» ؛ فقد اتصل عام 1862م بفيلسوف الصهيونية الأول وَوَاضِع أساسها النظري «موشي هيس» صاحب كتاب «الدولة اليهودية» . وعن هذا أيضا تلقّى «تيودور هِرتْزلْ» الذي لم يزد على أفكار «موشي هيس» سوَى أن بسَّطها وأَقام لها تنظيمها السياسي فيما يعرف بالحركة الصهيونية .

وقد بلغ من إعجاب ماركس وتأثره «بموشي هيس» أنْ قال عنه في كتابه «المسألة اليهودية» : «لقد اتخذت هذا العبقري لي مثالا وقدوة ، لِمَا يتحلّى به من دقة في التفكير واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أومن به» . ومما يلفت كذلك النظر إلى أنَّ ماركس قد عبَّر بالشيوعية عن يهوديته ما كتبه فيما بعد «الحاخام لويز برونس» وهو أحد أقطاب الصهيونية الحديثة قال : «إنّ كارل ماركس حفيد الحاخام مرذخاي ماركس كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعدّ له أشدّ إخلاصا لإسرائيل من الكثير ممن يتشدّقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية» .

ومما يثبت أيضا أن لليهود دور هام في ترويج الفكر الشيوعي ما ورد في البروتكولات الصهيونية ؛ فقد جاء في البروتكول الثاني :

«لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا أن نجاح داروين وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الشعب الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحا لنا على التأكيد» . هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى لا يسع المجال لذكرها كلها ؛ فقد نشرت مجلة «أفريكان هيبرو» في عددها الصادر يوم 10 / 9 / 1920م ، وهي من كبرَى المجلات اليهودية : «إن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود ... وإن ما تَحقّق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم» . وبتاريخ الخامس عشر من شباط عام 1968م ألقَى ألكسي كوسيغين خطابا في مدينة (مدينسك) السوفياتية جاء فيه : «نحن لسنا أنصار حرب جديدة في الشرق الأوسط ، بل على العكس نريد سلاما مستقرا في المنطقة ، وهناك بعض الدول العربية تؤيد هذا الموقف . إننا نرفض تصفية إسرائيل ، بل نؤيد استمرار إسرائيل كدولة» . ومما يلاحظ أنّ الاتحاد السوفياتي منذ بداية الثورة البلشفية لم يتحرّج في اتخاذ موقف التأييد المطلق والتنسيق المتكامل بينه وبين الحركة الصهيونية قبل قيام اسرائيل وبعد قيامها . ومن مطالعة النصوص والوثائق التي تغص بها سجلاّت الأمم المتحدة ـ ويستطيع كل إنسان الحصول عليها بأي لغة شاء ـ يتضح عدد من الحقائق والمواقف التي تدين الإتحاد السوفياتي في تأييد قيام اسرائيل وفي التمهيد لها ، ثم في توفير ظروف استمرارها وبقائها وقوتها .

الشيوعية في بلدان أوربا وأثر اليهود فيها :

لو دققنا في قيادات الحركات الشيوعية الأخرى خارج روسيا لوجدناها غاصة باليهود على مستوَى القيادة والتنظيم أو على مستوَى الفكر والمحتوَى .

ففي ألمانيا بعد نجاح الثورة الشيوعية الأولى عام 1917م ، قامت ثورة شيوعية مماثلة قادتها روزا لوكسمبورغ ، وهي يهودية بولونية شاركت وأسهمت في النشاط الشيوعي مع التنظيمات الماركسية الأولى خارج الاتحاد السوفياتي . لكن هذه الثورة قُمعت ، ثم أعدمت روزا لوكسمبورغ . وقد أوفدت الأممية الشيوعية «كارل رادك» لقيادة الحزب الشيوعي الألماني في أعقاب فشل روزا لوكسمبورغ ، ثم تبعتْهُ «رُوتْ فيشْرْ» وكلاهما يهودي .

وفي نفس هذه الفترة تقريبا قام يهودي شيوعي آخر وهو «بيلا كُون» بثورة في هنغاريا (Hongrie) ، وكان هذا عام 1919م ، وقد أعقب هذه الثورة مجازر ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين ، وكان الحصاد مجاعة عامة انتهت بإسقاط «بِيلا كُون» الذي فرَّ وعاد إلى روسيا ليتسلم فيها إدارة منظمة الإرهاب في الجنوب منها .

وفي بلدان أوروبا الشرقية الأخرى لم يكن اليهود أقل نفوذا وارتباطا بالحركة الشيوعية . ففي رومانيا كانت سكرتيرة الحزب «أنَّا باوكر» الَّتي ولدت في بوخارست لأبوين يهوديين ثم هاجر والدها

ـ وكان جزاراً ـ مع أحد إخوتها إلى إسرائيل واستوطنها . عاشت فترة من الزمن في أمريكا ، ثم استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلَّم الحكم في أعقاب الحرب العالمية الثانية من الجيش الأحمر .

وفي بولونيا ظل يحكمها إلى فترة غير بعيدة أربعة يهود وهم : مينْكْ وسِكْرِيبزْفْسْكي ، ومُودْزِيلْفْسْكِي ، وبِرْمان ، وهذا الأخير كان يعيش في روسيا ، ثم اختارته موسكو ليكون حاكم بولونيا الخفيّ بعد الحرب .

وفي تشيكوسلوفكيا استطاع اليهودي سلانسْكي أن يفرض عليها ديكتاتورية حمراء أخرى ، ثم شملته حملة التطهير . لكن الذين حاكموه كانوا أيضا من اليهود : ستيفان رايتز وغيره . وظلت تشيكوسلوفكيا تحت حكم اليهود الشيوعيين . وقد تمكن هؤلاء من تنظيم مساعدة إسرائيل عام 1948م عسكريا وبشريا ، وأمدّوها بالكثير من أسباب القوة ، ثم صاروا يمدّونها بعد ذلك بكل صفقات التسلّح الشيوعي إلى البلدان العربية ، ومواقع جيوشها وكفاءتها وتنظيماتها ، وكل ما اتصل بأسرارها العسكرية . وإلى جهود هؤلاء وإلى عوامل أخرى يرجع الفضل فيما حققت إسرائيل من نصر خاطف عام 1967م .

وفي هذا الصدد نذكر قول الشاعر :

ونشحد من يهود الشرق عدلا
كمن اتخذ الغراب له دليلا

وحين نبحث عن أصول وزراء التعليم والتربية في جميع بلدان أوربا الشرقية في السّتّينات نجدهم يهوداً وبغير استثناء ، ويرجع حرص اليهود على هذه الوزارة بالذات إلى حرصهم على توجيه النشء وصياغة أفكاره وفق المخطط الذي أعدّوه .

قائمة لبعض القيادات اليهودية العليا في الحركة الشيوعية والتي كان لها دور في الثورة البلشفية :

- لينين : اسمه الأصلي : زيدر بلوم ، قائد الثورة البلشفية عام 1917م ، والأمين العام للحزب حتَّى وفاته عام 1924م .
- كروبسكايا : زوجة لينين ، شغلت أمانة سرّ لجنة تحرير «الأيسكرا» ، أول صحيفة شيوعية .
- تروتسكي : اسمه الأصلي برونشتاين ، عاش فترة من حياته في نيويورك ، رئيس سوفيات بطبرسبورغ عام 1905 ، أسهم في ثورة 1917م .
- روزا لوكسمبورغ : يهودية بولونية ، أسهمت في جميع النشاط الشيوعي الذي سبق ثورة روسيا ، وكانت مع أعضاء حزبها شريكة في التخطيط للحركة الشيوعية في أوربا .

– بأرفوس : رئيس سوفيات بطرسبورغ بعد تروتسكي ، أسهم في ثورة 1905م و1917م .

– مارتوف : عضو تحرير صحيفة «أيسكرا» الصحيفة الشيوعية الأولى ، قاد الانشقاق ضد لينين وسمى أنصاره المنشفيك ، اسمه الأصلي : تسيدرباوم .

– زينوفييف : كان يعرف مع لينين وكامينيف بالثلاثي ، وهو صديق لينين الشخصي وأحد أبرز العناصر الشيوعية ، ترأس الأممية الشيوعية من عام 1919م حتَّى 1926م .

– إكسلورد : عضو تحرير صحيفة «أيسكرا» . ومن القادة الأوائل للحركة الشيوعية مع بليخانوف في جنيف .

– ليبرغولدمان : من رواد الحركة الشيوعية الأوائل ، أسهم في مؤتمر لندن عام 1907م .

– ليتفينوف : واسمه الأصلي مايروالاش ، وزير خارجية روسيا بين 1930م– 1939م ، أسهم في سرقة بنك تِفِليسْ قبل الثورة

للحصول على المال وتمويل الركة الشيوعية .

— سِفردلوف : أحد قادة الثورة البلشفية ومن العناصر البارزة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، ورئيس لجنة الدستور ، وثاني رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة .

— كامينيف : أول رئيس للجمهوريات السوفياتية بعد الثورة البلشفية .

— يوريتزكي : رئيس مفوضية الجمعية التأسيسية التي قامت في أعقاب الثورة .

— رادك : قاد الحزب الشيوعي الألماني موفداً من الأممية الشيوعية بعد إعدام روزا لوكسمبورغ ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة لينين .

— وارون ايزفوفتش كرمر : عضو اللجنة المركزية للمؤتمر الأول للحزب الذي وحّد المنظمات الماركسية في روسيا القيصرية .

— روز شتاين : المشرف على جميع الشؤون الشرقية وما

يتصل بالعلاقات الروسية ــ الإسلامية في الدولة الشيوعية بعد الثورة ، وقد أشرف على تأسيس أول حزب شيوعي في فلسطين عام 1919م ، وكان حزبا يهودي القيادة ، وإلى العناصر اليهودية في هذا الحزب أُو كل أمر انشاء الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية .

ولمن يريد التوسع في موضوع العلاقات الشيوعية الصهيونية فليرجع لكتاب «التاريخ السرّي للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد الغادري ، من منشورات دار الكاتب العربي ؛ وهو كتاب يكشف عن الصلات بين الحركتين الشيوعية والصهيونية وعلاقتهما الواحدة وفكرهما الواحد وعناصر تكوينهما المشتركة ، ويقدّم مجموعة من الوثائق تدين الحركة الشيوعية بالعمل بالتوافق التام مع الحركة الصهيونية ولمصلحة اليهودية ، كما يقدّم مجموعة من الوثائق لتاريخ الأحزاب الشيوعية العربية ودور اليهود في إنشائها وتمويلها .

اليهود وراء الفكر الشيوعي في البلاد العربية :

إن اليهود بدأوا منذ القرن التاسع عشر ــ على الخصوص ــ في التطلّع والتخطيط لإقامة كيان صهيوني في فلسطين . وقد كانوا يعلمون جيّداً أنْ ليس بإمكانهم أن يطأوا أرض فلسطين بأقدامهم وأن يقرّ لهم فيها قرار إلا في حالة ضعف المسلمين وتخلّفهم ، كما

كانوا يدركون أن الإسلام هو السرّ الحقيقي لقوة المسلمين ونهوضهم ، ولذلك أقدموا بما لديهم من هيمنة على وسائل الإعلام المختلفة على نشر الفكر الشيوعي، وتمويل وتأسيس الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية، ونشر الإلحاد وغير ذلك من المفاهيم العلمانية المادية التي تدعو المسلمين إلى فصل الدين عن الدولة وعن الحياة، والتحلّل من الأخلاق والقيم الإنسانية. وكان ذلك تحت ستار الشعارات الخادعة المضلّلة، فتغلغلت تلك الأفكار في عقول كثير من الشباب المُضَلَّلِين الذين فقدوا التوجيه الصحيح والفهم العميق المستنير للإسلام لأسباب داخلية أهمها غياب الإسلام عن الساحة كنظام حضاري ومنهج حياة شامل ، ولأسباب خارجية أهمها الغزو الشيوعي الصهيوني والصليبي للعالم الإسلامي ، واستيراد أساليب وأنظمة ظاهرها التقدمية والتحرر ، وباطنها الاستيلاب والاحتواء والجمود . فقد جرّب المنتسبون إلى الإسلام مختلف الأنظمة الوضعية من ليبرالية واشتراكية فلم تزدهم إلا ذلّة وجموداً وتأخراً وتبعية للغير. علما بأن الظروف التي مرّت بها أوربا وجعلتها تكره الدين ـ بمفهومه الكنسي المحرّف الضيّق الانتهازي ـ هي ظروف ليست موجودة في الإسلام ولله الحمد.

وقد استغل الشيوعيون اليهود وعلى رأسهم ماركس معركة الدين والعلم والدين والدولة في أوربا للتمويه والمغالطة وتعميم الأحكام بالقول أن الدين أفيون الشعوب ، ـ أي الدين عامة ـ وأنه

يتعارض مع النظر العقلي ، وهي شبهة لها مجالها الحقيقي في واقع الكنيسة والفكر الغربي ، بينما لا نجد لها أي أثر في الإسلام والفكر الإسلامي .

إن الكنيسة في غرب أوربا حرّفت الدِّين المنزل من عند الله، ونشرت الأوهام والخرافات بين الناس ، وابتزت الأموال بغير حق ، ووقفت في وجه الحركة العلمية وحجّرت الفكر ، ولاشك أن هذه المواقف الكنسية السلبية باسم الدين أعطت له مفهوما مظلما قاتما ظل يعيش في أعماق الفكر الأوربي في العصر الحديث ، هذا علاوة على أن التعريف الذي وضعه الفكر الغربي للدِّين لا يمكن أن ينطبق على الإسلام ؛ فرجل الدين في الغرب يوصف بأنه لا يصلح لفهم أمور الحياة والتدخل في شؤون الدولة بسبب انقطاعه عن صحبة الناس في الأديرة والكنائس ، إذ أنّ الكنيسة في الأصل تركت القوانين والأوضاع التي كانت تسود الامبراطورية الرومانية تتحكم في شؤون الناس .

أما الإسلام بمفهومه الصحيح المستمد من الكتاب والسنة ــ لا بمفهوم المنافقين الذين يرفعون شعار الإسلام ، لكن في آن واحد يجزؤونه ويشوهونه تبعا لأهوائهم ومصالحهم الخاصة ــ فقد أقام العدل والمساواة بين الناس ؛ لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم في الحقوق والواجبات ، وأمر بالشورَى وحرية التعبير في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشجع العلم، وحرّر الإنسان من رِقٍّ

التقليد الأعمَى وربّاه على حرية الفكر والاستقلال في الارادة مع التقيّد بالدليل ؛ فهي حرية فكرية تقوم على قواعد النظر والاستدلال بعيداً عن الأهواء والأوهام ، ولم يقف أمام الحضارة والعلم والمدنية معارضا أو مناهضا كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطَى ، بل كان باعثا للانطلاقة العلمية التي أدَّت إلى ابتكار المسلمين للمنهج العلمي التجريبي ، وهذا المنهج التجريبي هو الذي تسلمته أوربا من المسلمين عن طريق الأندلس وصقلية والشام ومصر وأقامت عليه مدنيتها الحديثة . وعلاوة على هذا فإنّ الإسلام لا يقتصر على الشعائر التعبدية ــ كما هو الأمر عند الكنيسة ــ بل هو منهج كامل للحياة الإنسانية ؛ إذ أن معنَى الإسلام : الاستسلام والانقياد والخضوع لله والتزام حكمه في كل شؤون الحياة ، أي بمعنَى إسلام النفس كلها لله حيث تكون أفكار الانسان ومشاعره وسلوكه العملي كلها محكومة بالدستور الذي أقرَّه الله . فالسلطة التشريعية حق لله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يشاركه فيها أحد ، ومدار الإسلام على ذلك كله ، قال تعالى : «فلا وربك لا يؤمنون حتَّى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما» الآية : 65 من سورة النساء . وقال تعالى : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هُمُ الكافرون» الآية 44 من سورة المائدة . وقال جلّ ثناؤه : «إن الحكم إلاَّ لله» الآية 40 من سورة يوسف ، إلى غير ذلك من

التقريرات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم .

ويبدو شمول التشريع الإسلامي أيضا في بعد آخر وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات الإنسانية المختلفة ، ما يؤثِّر فيها وما يتأثَّر بها ، والنظر إليها ومعالجتها معالجة محيطة مستوعبة مبنية على معرفة النفس الإنسانية وحقيقة دوافعها وتطلعاتها وضرورياتها ، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها ، وربط التشريع بالقيم الانسانية على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي ، فجاء هذا التشريع لخدمة الانسانية ، ولمصلحة الجميع ، «أَلا يعلم من خلق وهُو اللَّطيف الخبير» الآية 14 من سورة الملك .

ومما يلاحظ أن الحملات التي تُوَجَّهُ ضد الدين الحق ـ وهو الإسلام ـ إنما تُوجَّه من قِبَل دعاة المذاهب المادية وعلى رأسهم اليهود ضمن مُخطط رهيب يتبلور من خلال الغزو الفكري الذي حاول بمختلف الأساليب القضاء على أثر الإسلام في عقر داره ، وإيهام المخدوعين من أبناء هذه الأمة أنْ لا سبيل للتقدم إلا بإبعاد الإسلام عن مجالات الحياة المختلفة ؛ هذا كسلاح لتركيز السيطرة اليهودية والتمكين لها في البلاد الإسلامية ، إذ يدرك اليهود جيداً أن الإسلام يقف سدّا منيعا في وجه أي احتواء أو تبعية أو تنازلات لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بأرض إسلامية كفلسطين وتهجير وتشريد شعب مسلم بأكمله .

وهذه قائمة لبعض اليهود ممن كان له أثر كبير في تمويل وتأسيس الأحزاب الشيوعية العربية .

ـ ليون سلطان : يهودي مغربي ، مؤسس الحزب الشيوعي بالمغرب عام 1943م .
انظر :

Robert Rezette : Les partis politiques marocains. Ed. Presses de la fondation Nationale des sciences politiques, Paris 1955.

ـ أبرهام السرفاتي : يهوديان مغربيان أسهما أيضا في إنشاء
ـ شمعون ليفي الحزب الشيوعي بالمغرب تحت رئاسة «ليون سلطان» السابق الذكر ، وهما أعضاء في «حزب التقدم والإشتراكية» .

ـ يعقوب كوجمان : يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب الشيوعي في العراق .

ـ أميل : ثلاث شيوعيين يهود حملوا الأموال
ـ أوسكا والتوجيهات الأجنبية للحزب الشيوعي
ـ مولر السوري اللبناني ، وقد وردت أسماؤهم في اعترافات رفيق رضا القائد الشيوعي القديم ، وجميعهم من موفدي الكومنترون .

ـ ساسون دلال : يهودي عراقي ، من مؤسسي الحزب

الشيوعي العراقي ، تولّى مناصب قيادية فيه .

- برنمو : يهودي شيوعي من فلسطين ، كان مستشاراً لقيادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني .

- هلل شفارتس : مؤسس منظمة «الايسكرا» في مصر .

- مرسيل اسرائيل : مؤسس منظمة الشعب الماركسي في مصر .

- جاك تيبر شامي : رئيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وهو يهودي روسي الأصل من فلسطين .

- كوربيل : يهودي مصري إيطالي الأصل ، مليونير ، أسس الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني في مصر ، وهي حركة شيوعية انضم إليها فترة من الزمن بعض عناصر القيادة الحاكمة في مصر .

- أبو زيام : شَارَكَ جاك تيبر - السابق الذكر - في توجيه الأحزاب الشيوعية في سوريا ولبنان وفلسطين . ويعتبر من أبرز خبراء

الكومنترون في شؤون الشرق العربي ، وقد تزعم الحزب الشيوعي في فلسطين بين 1924م – 1929م .

– أفيجدور : يهودي روسي ، انتدبه الكومنترون لتأسيس الحلقات الماركسية الأولى في مصر .

– خالد باكداش : أكبر شخصية يهودية نافذة في الأحزاب الشيوعية العربية ، فقد نشرت المجلة الفرنسية «Le spectacle du monde» في عددها رقم 57 بتاريخ كانون الأول 1966م أن خالد باكداش غدا الأمين العام للأحزاب الشيوعية في كل من : سورية ، لبنان ، الأردن ، إسرائيل ، العراق ، مصر .

فهرس المصادر

* **القرآن الكريم .**

أولا : مصادر باللغة العربية .

أ – أعمال غير منشورة :

– الشعيبي ، أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد التادلي .
1) **المِعْزَى في مناقب الشيخ أبي يَعْزَى** ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ، رقمه : 517 .

– العزفي ، أبو العباس أحمد بن محمد .
2) **رسالة في كرامات الشيخ الولي الصالح أبي يعزَى** ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ، ضمن مجموع : 9447 .

ب – أعمال منشورة :

– بنعبد الله ، عبد العزيز .
1) **الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية** ، معلمة المدن والقبائل ، ملحق 2 ، الدار البيضاء : مطبعة فضالة ، 1395هـ / 1975م .

– ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ / 1405م)

2) **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن صاحبهم. من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1379هـ / 1959م .

– ابن خلِّكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ / 1282م)

3) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، طبعة مصر ، 1310هـ / 1892م .

– الرازي ، محمد بن أبي بكر .

4) **مختار الصَّحَاح** ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1387هـ / 1967م .

– الزِّرِكْلي ، خير الدين (ت 1396هـ / 1976م) .

5) **الأعلام** ، ط 5 ، بيروت : دار العلم للملايين ، 1400هـ / 1980م .

– ابن زيدان ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت 1365هـ / 1945م) .

6) **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، الرباط : المطبعة الوطنية ، 1347هـ / 1930م .

7) **الدّرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة** ، الرباط : المطبعة الاقتصادية ، 1356هـ / 1937م .

– الغادري ، نهاد .

8) **التاريخ السّري للعلاقات الشيوعية الصهيونية** ، بيروت : دار الكاتب العربي ، 1389هـ / 1969م .

ـ ابن القاضي ، أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الزناتي (ت 1025هـ / 1616م) .

9) **جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس** ، طبعة فاس ، 1309هـ / 1891م .

ـ الكتاني ، محمد عبد الحي بن عبد الكبير (ت 1327هـ / 1909م) .

10) **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، فاس : المطبعة الجديدة ، 1346هـ / 1927م .

ـ ماركس ، كارل .

11) **المسألة اليهودية** ، ترجمة محمد عيتاني ، بيروت : دار الآفاق اللبنانية ؟ .

12) **المسألة الشرقية** : رجعنا فيها إلى إحدَى المقالات التي كتبها ماركس في صحيفة نيويورك تربيون (New York Tribune) بتاريخ 7 أبريل 1853م .

ـ مخلوف ، محمد بن محمد (ت 1346هـ / 1941م) .

13) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، القاهرة : المطبعة السلفية ، 1349هـ / 1930م .

ـ ابن منصور ، عبد الوهاب .

14) **قبائل المغرب** ، الرباط : المطبعة الملكية ، 1388هـ / 1968م .

ـ ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين (ت 711هـ / 1311م) .

15) **لسان العرب** ، إعداد وتصنيف يوسف خياط ، بيروت : دار لسان العرب ، ؟ .

ـ الناصري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد (ت 1315هـ / 1897م) .
16) **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصَى** ، تحقيق جعفر الناصري ، الدار البيضاء : دار الكتاب ، 1375هـ / 1955م .

ثانيا : مصادر بلغة أجنبية .

Rezette, Robert
les partis politiques marocains. Ed. : Presses de la fondation nationale des sciences politiques, Paris, 1955.

ثالثا : الدوريات .

1) **مجلة أفريكان هيبرو** (African Hebrew) في عددها الصادر يوم 1920/9/10 .
2) **مجلة الجهاد** (الصادرة في بيشاور ، باكستان) ، العدد 19 ، بتاريخ 1986/6/21 ، مقالة تحت عنوان : روسيا وإسرائيل : علاقات بلا حدود .
3) **مجلة** (Le spectacle du monde) الفرنسية ، في عددها 57 ، بتاريخ كانون الأول (ديسمبر) 1966 .

فهرس المحتويات

❋

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الايداع القانوني رقم 1986/570

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء

الثمن : 12,00 درهم